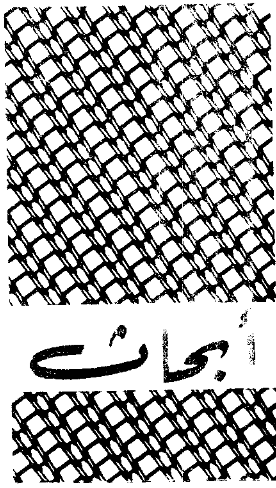


المحرفون للكلم
الترجمات اللاتينية الأولى للقرآن الكريم وتأثيرها على الترجمات باللغات الأوربية

د . حسن المعايرجي

الدوحة - قطر

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُم لَعَنَّاهُم وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُم قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُم ، فَاعْفُ عَنْهُم وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين ... ﴾ .

[سورة المائدة : الآية ١٣]

تمهيد :

إن الأحداث التى وقعت فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر والتى أدت إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية لأول مرة هى أحداث كثيرة متداخلة يحتاج تدوينها إلى سرد طويل لتاريخ المسيحية فى أوربا فى خلال هذه المدة ، وتاريخ المسلمين

فى الأندلس وفى جنوب فرنسا وسويسرا . وتاريخ المسلمين فى صقلية وجنوب إيطاليا وسردينيا وكورسيكا وجزر البليارد ، وتاريخ حملة عبد الرحمن الغافقى والتى احتل فيها نصف مساحة فرنسا المعروفة لنا حاليا والتى وصل بها إلى توروبواتييه ، ثم تاريخ الحروب الصليبية وأسبابها ونتائجها . وإن هذه المقالة المختصرة لا تتسع للخوض فى هذا التاريخ كله والذى يحتاج إلى سرد مطوّل حتى يعيش القارىء فى الأجواء التى مهدت وأدت إلى هذه الترجمة ، التى كانت نقطة البداية لهجوم فكرى على الإسلام استمر منذ كتابتها حتى عصرنا الحاضر .

وكان هذا الهجوم وما زال هو الأكثر خطرا وتأثيرا من الحروب العسكرية ، وقد نما هذا الهجوم الفكرى والعقيدى وشب حتى وصل إلى مرحلة متطورة فى عصرنا الحاضر . وهو هجوم من شعبتين : شعبة موجهة إلى الشعوب المسيحية لتحصينها ضد الإسلام الذى انتشر واتسع نفوذه وذلك بتشويه صورته وتجريحه والقدح فيه ونقده والتطاول عليه وعلى القرآن وعلى بنى المسلمين ، مما كوّن ما يشبه الجدار السميك من الأفكار السوداء عن هذا الدين الحنيف ، حتى أن المسيحى الغربى فى عصرنا الحاضر وعندما تفلس المسيحية فى نظره ، ويشعر بحاجته إلى دين يُشبعه روحيا ونفسيا ، نجده يقرأ ويجرب كل الأديان بما فيها البوذية والهندوكية وما شابه ذلك من الأديان ولا يفكر فى الإسلام كدين يستحق الدراسة إلا ما جاء عن طريق الصدفة ، فالغربى لا يتوقع خيرا فى الإسلام كدين بعد أن هوجم باللاتينية من القرن الحادى عشر وما زال يهاجم ، وترجم هذا الهجوم إلى ما يربو على اثنين وعشرين لغة أوربية[1] مما شوه صورته تشويها يكاد يصبح عندهم من المسلمّات .

أما الشعبة الثانية فهى الشعبة الموجّهة إلى المسلمين فيما نراه من هجمات تبشيرية شعة على أمة الإسلام ككل وعلى الدول الإسلامية ذات الكثافة السكانية على وجه التخصيص كنيجيريا وبنجلاديش وأندونيسيا . إن هذا الهجوم العقيدى الفكرى الذى ظهر فجاً بدائيا عند نشأته الأولى على أيدى رهبان دير كلونى (Cluny) معتمدا على الأساطير والسباب ، أخذ يتطور مع السنين حتى أصبح علما بل علوما لها مدارس ومناهج . وما الاستشراق ومقارنة الأديان ومعاهد الدراسات الشرقية فى الجامعات الغربية إلا من ثمار هذا الهجوم الفكرى .

وما الرهبانيات ومدارس اللاهوت ومراكز التبشير ، ومدارسها ، ومستشفياتها ، وملاجئها ، ومؤسساتها (الإنسانية) كذا ، ومكتباتها ومطابعها

(١) إذا اعتبرنا لغة الأفريكان وهى لغة سكان جنوب أفريقيا البيض لغة أوروبية (وهى خليط من الهولاندية والإنجليزية) فإن العدد يصبح ٢٣ ، لغة أوروبية ترجم إليها القرآن الكريم .

وإذاعاتها ومطاراتها وسفنها التبشيرية التى تجوب البحار إلا قواعد هذا الهجوم . لقد كانت الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن هى الشرارة التى فجّرت كما هائلا من الترجمات فى شتى اللغات الأوروبية .

وهى تتراوح بين الإسفاف والقدح الشديد فى الإسلام وتحريف الكَلِم عن مواضعه وبين المواربة ودق الأسافين وإثارة الشبهات . إن الغالبية العظمى من هذه الترجمات قام بها رهبان أو قساوسة أو مبشرون أو مستشرقون ، والقلة القليلة القادرة من الترجمات التى قام بها المسلمون كترجمة مولانا أبى الأعلى المودودى وعبد الله يوسف على فى الانجليزية والأستاذ محمد حميد الله فى الفرنسية هى ترجمات قليلة لا تزيد عن أصابع اليد الواحدة[1] .

إن المسلم الذى ذاق حلاوة الإيمان ، وحفظ القرآن الكريم ودرس علومه ، لابد وأن يختلف فى ترجمته للقرآن عن غير المسلم الذى لا يرعى للقرآن الكريم حرمة ، ولا ذمة . ناهيك عن الإنسان الذى لا يدرك مغزى أحكام القرآن الكريم وتعاليمه الخلقية وتوجيهاته السامية للفرد والأسرة والمجتمع ، وللحاكم والمحكوم ، فى السلم والحرب ، والذى لا يدرك مغزى التوحيد والعبودية لله ، ولا لمبادئه ونظمه فى مختلف نواحى الحياة ولا يطبقها فى حياته . كيف يتسنى لهذا الإنسان أن يذوق حلاوة القرآن ويفهم مراميه وأبعاده وأغواره وكيف تتجلى له تأويلات هذا الكتاب الكريم وأسراره وحقائقه حتى يستطيع أن يترجم معانيه إلى لغة أخرى . فإذا أضفنا إلى هذا العناد المكابرة وسوء النية والجهل فى إدراك عربية القرآن الكريم المعجزة ، فإن المحصلة تكون ما بين أيدينا من كوارث الترجمات الأوروبية التى فعلت بكتاب الله ما يشق على النفس ذكره .

لقد حرّفوا الكلم وأعادوا ترتيب السور حسب ما يرى المؤلف مدعيا أنه ترتيب النزول ، أو يترجم ترجمة مرسلة للسور دون التقيد بآيات هذه السور . وقد تكون السورة فى مقال واحد أو فى عدة مقالات أو يؤلف ما يسميه مختصر القرآن أو قرآن محمد أو قانون الأتراك أو إضافة صور يدعى المؤلف أنها للنبى أو أهم عشر سور فى القرآن أو ما يسمونه أحاديث محمد حول المائدة وغير ذلك مما ارتكبه القوم بحق كتاب رب العالمين . ولو حاولت عرض نماذج لهذه التحريفات والأباطيل فى اللغات الأوروبية التى ترجم إليها القرآن الكريم لاحتجت إلى مجلدات فضلا عن

---

(١) بلغت الترجمات الكاملة للقرآن الكريم فى اللغات الأوروبية مع طبعاتها المتعددة ٦٧١ ترجمة وطبعة ، بلغت الترجمات الجزئية والمختارات ٢٤٥ ترجمة وذلك حتى عام ١٩٨٠ فى ٢٣ لغة أوروبية (الببليوغرافيا العالمية لترجمات معانى القرآن الكريم - مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية - إستانبول ١٩٨٦) .

أننى بهذا العمل أعيد نشر ضلالتهم وأكررها والواقع أن رأس الفتنة هى الترجمة اللاتينية الأولى عام ١١٤٣ م لروبرت الكيتونى (Robert of Ketton) والتى لم تكن ترجمة فقط ، وإنما أضيف إليها هجوم وقدح فى الإسلام والقرآن ونبى المسلمين فيما يسمونه Polemics ثم لحقتها الترجمة اللاتينية الثانية عام ١٧٢١ م والتى قام بها لودڤيج ماراتشى (Ludovico Marracio) وهى أشد قدحا وهجوما من الأولى .

وقائع وأحداث على الطريق :

ما أن مرت مائة عام فقط على وفاة سيدنا محمد ﷺ عام ٦٣٢ م حتى كانت جيوش المسلمين قد اجتاحت أسبانيا لتصل إلى نربونة (Narbonne) فى الركن الشمالى الغربى لحوض البحر الأبيض المتوسط على الحدود بين فرنسا وأسبانيا . وكان ذلك عام ٧٢٠ م ثم وصلوا إلى تولوز (Toulouse) عام ٧٢١ م فكاركاسون (Carcassonne) عام ٧٢٥ م وبوردو (Bordeaux) عام ٧٣٢ وتور وبواتييه (Tours&Poitiers) قرب باريس عام ٧٣٢ م، وبهذا تكون فتحت ما يقرب من نصف مساحة فرنسا المعروفة لنا حاليا .

أما جنوب ايطاليا وصقلية وكورسيكا ومالطة وسردينية وجزر البليارد ورودس وقبرص وجبال الألب وسويسرا فقد سقطت كلها فى أيدى المسلمين لفترات مختلفة . ولا شك أن هذا الفتح الإسلامى الصاعق قد زلزل أوروبا الغارقة فى جهالة العصور الوسطى فى ذلك الوقت ، وكانت أطرافها الشمالية لا تزال تدين بالوثنية وكانت تهاجم من الشرق والشمال بالوثنيين ، ومن الجنوب والجنوب الغربى بالمسلمين . وقد تم فتح الأندلس وجزء من لانجدوك (Languedoc) (فى جنوب فرنسا) فى أقل من سنتين . ويقول المؤرخون العرب أن خطة موسى بن نصير كانت تقضى بأن يعود إلى مقر الخلافة الأموية فى دمشق عن طريق ألمانيا ومضيق القسطنطينية وآسيا الصغرى ملتفا بذلك حول البحر الأبيض المتوسط . وكان المسلمون فى فترة من فترات هذا الغزو الصاعق يغدون ويروحون بحرية فى جميع أنحاء سويسرا ، حتى وصلوا إلى أبواب مدينة سانت جال Saint-Gallen قرب بحيرة كونستانز Constance .

لقد عبرت الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا من خلال أسبانيا وصقلية ومن خلال سوريا أثناء الحروب الصليبية . ولا شك أن أسبانيا كانت أهم طريق مرت عبره الحضارة العربية الإسلامية التى أيقظت أوروبا عندما غدت أسبانيا منطلقا لترجمات المعارف والعلوم العربية[1] على

(١) لقد بلغ الرقى والحضارة الإسلامية فى الأندلس مبلغا أشاد المسيحيون أنفسهم بما بلغته قرطبة من الرقى وازدهار الصناعة والفنون وبما كان يسود قصورها من الترف والسلوك الرفيع ، والتقدم الثقافى والعلمى الذى حدا بجورج الثانى ملك إنجلترا إلى إرسال بعثات علمية إلى الأندلس لتنهل من المعرفة والعلوم فى بلاد المسلمين . وكانت إحدى هذه البعثات تضم ١٨ فتاة يرافقهن رئيس موظفى القصر الملكى=

نطاق واسع فى مدينة طليطلة . كما ساهمت صقلية العربية فى نقل الثقافة والعلوم العربية والحضارة الإسلامية فى تعاون حضارى فريد فى تاريخ العلاقات بين العرب وأوربا ، فقد نقل النورمانديون حكم صقلية فى ذلك الوقت آداب وعلوم العرب واستخدموا العربية لغة رسمية إلى جانب اللاتينية واليونانية ، وضربوا النقود على النمط الإسلامى وكان أشهر حكامهم فريدريك الثانى ١٢١٥ - ١٢٥٠ م وابنه مانغرد . وكانا يعرفان العربية قراءة وكتابة وقد ألفا بها وأنشأ فريدريك جامعة نابولى عام ١٢٢٤ م مهديا إياها مجموعة كبيرة من الكتب العربية . وكان من الممكن أن يكون التفاعل بين الحضارة الإسلامية وأوروبا مدخلا منصفا للإسلام من قبل المسيحية فى أوروبا ، كما كان من الممكن بشىء من الموضوعية والبعد عن التعصب الأعمى والمكابرة توفير الصراعات الطويلة والآلام المأسوية التى خضبت تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية لو تناول المسيحيون هذا الاحتكاك الحضارى بنظرة أكثر واقعية وبعيدة عن التعصب الدينى الأعمى الذى سيطر على قياداتهم فى ذلك العصر ، وكانت القيادة فى يد الكنيسة التى وجدت فى عداوتها للإسلام والمسلمين وسيلة لحل الخلافات ، وتوحيد الكلمة على عدو مشترك هو الإسلام والمسلمين وتأكيد زعامة الكنيسة وتفوقها على الملكيات الأوروبية بتوجيهها لحملات عسكرية إلى بلاد المسلمين .

ولقد اتفق المؤرخون على أن عصرا جديدا للكنيسة الغربية بدأ فى النصف الأول من القرن الحادى عشر وذلك بتزعم البابوية لأوروبا باعتبارها خليفة بطرس فى وراثته للمسيح ، وتمكنها من فرض طاعة

= النبيل« سفيلك » . وعلى رأس البعثة الأميرة دوبانت إبنة أخت الملك وقد جاء فى خطاب الملك إلى الخليفة هشام الثالث ما يلى :

« من جورج الثانى ملك انجلترا والغال والسويد والنرويج إلى الخليفة ملك المسلمين فى الأندلس صاحب العظمة هشام الثالث الجليل المقام .

بعد التعظيم والتوفيق فلقد سمعنا عن الرقى العظيم الذى تتمتع بفيضه الضافى معاهد العلم والصناعات فى بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة فى اقتفاء أثركم لنشر أنوار العلم فى بلادنا التى يشملها الجهل من أركانها الأربعة . وقد وضعنا ابنة شقيقتنا الأميرة دوبانت على رأس بعثة من بنات الأشراف الانجليز ، لتتشرف بلثم أهداب العرش ، والتماس العطف لتكون مع زميلاتها موضع عناية عظمتكم ، وحماية الحاشية الكريمة ، وحدب من لدن الذين سيتوفرون على تعليمهن ، وقد أرفقت الأميرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب والإخلاص » .

من خادمكم المطيع : جورج م . أ

د . محمد جميل غازى - الإسلام يحيا فى الأندلس - دار الأنصار - القاهرة ١٩٨١ ، ص : ٣٠ - ٣١ ، نقلا عن كتاب العرب ، عنصر السيادة فى القرون الوسطى للمؤرخ الإنجليزى جون دواتبورت .

الملوك والشعوب لها . والظاهرة الثانية فى هذا العصر الجديد للكنيسة هو ظهور الرهبانيات التى تدعو للإصلاح . وكانت رهبانية كلونى (Cluny) التى أسست فى فرنسا من الرهبانيات التى مهدت لهذه الحركات الإصلاحية ، متمتعة بنفوذ واسع امتد إلى أسبانيا والفاتيكان . وقد سميت الفترة من ١٠٥٠ م إلى عام ١١٥٠ م بالنهضة الأولى وفيها ظهر التعليم العالى والفكر الفلسفى وظهر علم اللاهوت بمفهومه الحديث ، كما أن البابوية تأثرت كثيرا بصيحات النجدة التى كانت تطلقها الكنيسة الشرقية من وقت لآخر تحت تأثير الضغط السلجوقى على البيزنطيين فى آسيا الصغرى وقد استنجد الإمبراطور البيزنطى الكسيوس الأول بالبابا أوربان الثانى(١) (Urban II) « معلن الحرب الصليبية على المسلمين فى دير كليرمونت » Clermont عام ١٠٩٥ م .

ومن الرهبانيات التى كان لها دور بارز فى هذه الصحوة المسيحية رهبانية سيتو Citeaux بفرنسا والتى أسست عام ١٠٩٨ م وكان شعارها الحياة البسيطة الفقيرة والعمل اليدوى ، مؤكدة بذلك المبادىء التى أعلنها القديس بنديكت St. Benedict فى إيطاليا حيث النشأة الأولى

---

(١) البابا أوربان الثانى (Urban II) (١٠٣٥ - ١٠٩٩) وهو خريج مدرسة دير كلونى الفكرية ، ولد فى لاجيرى بمقاطعة شامبانى بفرنسا ودرس فى سواسون وريمى ويقال أنه درس فى الأندلس ، وتقلد عدة مناصب انتهت به إلى أن أصبح راهبا فى دير كلونى من عام ١٠٧٠ حتى عام ١٠٧٤ .

وقد سارع إلى ترجمة أفكار دير كلونى فور تثبيت مكانته فى كرسى البابوية بإعلانه الحروب الصليبية فى مجلس كليرمونت عام ١٠٩٥ فى خطبته الشهيرة وسمى هذه الحروب « الحرب الصليبية الأولى » وكأنه يدعو إلى غيرها . كما ساهم فى إعانة الجيوش المسيحية لاسترداد أراضى الأندلس من المسلمين ، كما أعاد ترتيب الكنيسة فى أسبانيا وضمن بذلك تأييد الأسبان له فضلا عن الفرنسيين المتعاطفين معه . كما سعى إلى توحيد الكنيسة البيزنطية والكنيسة اللاتينية وذلك فى مدينة بارى عام ١٠٩٨ .

ومات أوربان الثانى خريج كلونى فى ٢٩ يوليو ١٠٩٩ بعد أن سقطت القدس فى ١٥ يوليو ١٠٩٩ فى أيدى الصليبيين **ولا أدرى هل علم بأخبار سقوط القدس قبل موته أم لا ؟ وهل علم بالمذبحة الكبرى التى كانت ثمرة دعواه المتعصبة أم لا ؟**(*) وهل كانت هذه الحرب بدوافع دينية حقيقية لتخليص الأراضى المقدسة من أيدى المسلمين ؟ أم كانت مخرجا لتوجيه جيوش الأمراء والملوك إلى خارج أوروبا لتقوى شوكة الكنيسة ؟ أى أنها كانت حربا لحل مشاكل داخلية على حساب فتح دينى عاطفى فى الخارج .

وعلى كل الأحوال فهذه العينة الكلونية مثال صارخ على التعصب الأعمى الذى مارسه أوربان وتبعه رهبان آخرون مثل بيتر الهرميت وبطرس الكلونى وغيرهم .

(*) وصلت أنباء سقوط القدس بعد مدة قصيرة من موت أوربان واعتلاء باسكال الثانى كرسى البابوية . (The Oxford dietionary of Papes) 161 p.

لحركة الرهبانيات ، التى بدأت صغيرة متواضعة مثل رهبانيات كامالدوليس Camaldolese وفالومبروسان Vallombrosans ثم انتقلت الحركة الرهبانية إلى فرنسا حيث اشتد عودها فظهرت رهبانية جراند مونتين Grandmontines (عام ١٠٧٧) ورهبانية كارثوسيان Carthusians (عام ١٠٨٤) وظهرت حركات أخرى فى بريطانيا وانتشرت الرهبانيات فى أوروبا عامة حتى بلغت نقطة التشبع فى القرن الثانى عشر . وكان من أشهر رؤساء هذه الرهبانيات سانت برنارد St. Bernard رئيس رهبانية سيتو Citeaux فى كليرفو Clairvaux من عام ١١١٥ م حتى عام ١١٥٣ قاد فيها رهبان سيسترسيان Cistercians لمدة تقرب من الثلاثين عاما ، وكان منافسا قويا لرهبانية كلونى ورئيسها بطرس الكلونى . أما رهبانية فرسان المعبد فقد بلغت شأوا كبيرا فى فرنسا وقامت بدور بارز فى الحرب الصليبية وكان لها صفة عسكرية كما أثرت ثراء فاحشا نتيجة للهبات والتبرعات والأوقاف التى انهالت عليها لدورها فى الحرب الصليبية حتى أصبحت مع الوقت مصدر قلق لملوك فرنسا ، حتى أن الملك فيليب الرابع اضطر للتخلص من اثنين من البابوات ، فاختطف بونيفاك الثامن Boniface VIII (١٣٠٣ م) ودس السم لبنديكت الحادى عشر Benedict XI (١٣٠٥ م) حتى تمكن من تعيين كليمنت الخامس Clement V كى يساعده فى عملية سحق فرسان المعبد عام ١٣٠٧ م .

واعتبر هذا القرن أى القرن الثانى عشر العصر الذهبى للرهبانيات التى انتشرت فى ربوع أوروبا مثل رهبانيات كلونى وكليرمونت أوفنينيون وباريس فى فرنسا وكلونيا وآخن فى ألمانيا وكانتر برى فى انجلترا وسانت جال فى سويسرا وكانوزا وروما فى إيطاليا وسينتياجودى كومبا ستيلا فى أسبانيا .

وطغت أسماء مفكرين وظهرت اتجاهات وفلسفات واشتهر كثيرون بحركاتهم الإصلاحية وعمت المسيحية يقظة عامة وهجمة قوية على الإسلام . وقاد هذه الحركات رهبان أمثال لانفراك وأنسيلم فى كانتر برى وهيج وبطرس فى كلونى وريتشارد فى سانت فيكتور وبرنارد فى كليرفو . وفى ظل هذا الجو المكفهر القاتم المشحون بعداوة الإسلام ومهاجمته على كل الجبهات فى صقلية والأندلس والقدس، تُرجم القرآن الكريم أول ما ترجم فى أوروبا إلى اللغة اللاتينية لغة الكنيسة .

دير كلونى : Monastry of Cluny

لابد من التعريف بهذا الدير الذى أخذ زمام المبادرة بحرب الإسلام والمسلمين فكريا فى فرنسا وخارجها مما أدى إلى تكوين عداوة وسوء فهم للإسلام دائمين حتى يومنا هذا . فقد تأسس دير كلونى عام ٩١٠ م فى مقاطعة بورجاندى (Burgundy) ، وكان لعائلة مونت بواسيه الفضل فى إنشاء هذا الدير والسهر على شئونه المالية والادارية . فقد تقلد أفراد

هذه العائلة منصب رئاسة الدير بطريقة وراثية حسب التدرج العائلى .

وقد بلغ هذا الدير فى القرن الثانى عشر شأوا عظيما وكان له أهمية كبيرة فى أوروبا ، واعتبر مركزا هاما للنهضة وتجديد الفكر المسيحى ومدرسة كبيرة لهذا الفكر ، كما كان للدير مرتبة مميزة لدى البابا فى روما وكان له الحق فى الارتباط بالأديرة الأخرى فى وضع استقلالى مما أعطاه نفوذا كبيرا وثروة عظيمة وذلك بفضل رؤسائه الذين أداروه بحكمة ومهارة ، مما أدى إلى أن يصبح عاصمة لإمبراطورية رهبانيات كبيرة تحكم ستمائة من الأديرة تنتشر فى فرنسا وأسبانيا وعشرة آلاف راهب يتوزعون على مساحة كبيرة من الأرض .

وقد تخرج من هؤلاء الرهبان باباوات(١) وكاردينالات ومستشارون للملوك والأباطرة . فى عام ٩٧٢ م أى بعد إنشاء الدير بحوالى ٦٢ عاما وقعت حادثة قد يكون لها دلالة على الأحداث بعد ذلك ، وكان لهذه الحادثة دوى كبير فى مختلف الأقطار الأوروبية فى ذلك الحين وضج لها المسيحيون يطالبون بالأخذ بالثأر .

« والقصة تقول أن القديس مايول Saint Mayeul كان يحظى باحترام وتقدير الجميع ، وقد بلغ من الشهرة أن النية كانت قد اتجهت فى وقت معين إلى ترشيحه لمنصب الباباوية ، كما كان رئيسا لدير « كلونى » فى بورجونيا فى ذلك الوقت .

كان مايول هذا يعبر جبال الألب وتجمّع معه عدد من الحجاج العائدين من روما فى شكل قافلة وصلت إلى نهر « دراك » فى مكان ضيق بين النهر والجبل حيث سقطت القافلة فى أسر جيوش المسلمين المتمركزة على قمم الألب ، وعلى عادة الأسرى فى دفع فدية للخروج من الأسر ، فقد اتفقوا على فدية مقدارها ألف ليرة من الفضة .

وقد أرسل مايول رفيقه إلى دير كلونى لإحضار الفدية لفك أسره وأسر من معه وكتب رسالة مهيجة للمشاعر قال فيها : « إلى الإخوان رهبان دير كلونى من مايول المسكين المقيد بالأغلال الخ ... والذى مسته لذعات الموت » .

وقد استغرق الرهبان فى البكاء عند قراءة رسالته ، وسارعوا إلى جمع الأموال الموجودة فى الدير والتجأوا إلى سكان المنطقة واستدروا عطفهم وجمعوا منهم مبالغ على سبيل الصدقة ، حتى جمعوا الفدية وأطلقوا سراح الأسرى » . هذه الواقعة لابد وأنها ترسبت فى وجدان أهل الدير .

---

(١) مثل البابا أوربان الثانى Urban II الذى أعلن الحرب الصليبية على المسلمين .

بطرس الكلونى (١٠٩٤ - ١١٥٦ م):

Peter (Pierre) of Cluny

هو بيير موريس دى مونت بواسيه أو بيتر فينيرا بلى من عائلة مونت بواسييه مؤسسة دير كلونى ، شغل منصب رئاسة الرهبانية عن عمر يناهز الثمانية والعشرين عاما وكان ذلك فى عام ١١٢٢ م وظل فى الرئاسة حتى توفى عام ١١٥٦ م أى حكم الرهبانية وتوابعها لمدة أربع وثلاثين سنة .

وكانت الرئاسة معقودة له بحكم درجته العائلية فى وراثة الرئاسة حتى قبل مولده . وكان من أجداده فى رئاسة الرهبانية هيوز الأول الذى تلقى النذر من بطرس بالترهب . وقد تولى بونتيوس أخو بطرس رئاسة الدير ولمدة ثلاثة أشهر وبقوة السلاح ، فقد اقتحم الدير مع جيش صغير من المرتزقة واستولى عليه ، وأثار حكمه الرعب وسجن كثيرا من الرهبان ونهب ثورة الدير وترك الحكم لبطرس والدير فى أحوال مالية سيئة .

وكان بطرس المعتل الصحة كثير الأسفار لتدعيم إمبراطورية الأديرة التابعة له ، جامعا الأموال والأراضى والهبات من الملوك والأمراء .

وقد ظلت رهبانية كلونى مزدهرة حتى الثورة الفرنسية عندما تشتت الرهبان بسبب هذه الثورة فى أكتوبر ١٧٩١ ثم نهبت فى نوفمبر من العام نفسه ، وأحرق الثوار الكتب والمقدسات فى ساحة السوق ، وعرضت الكنيسة للبيع فى مزاد علنى وخربت نهائيا بين عامى ١٧٩٨ - ١٨٣٢ . وبذلك ضاعت معالم أكبر مؤسسة مسيحية بعد الفاتيكان (*)

وكما ذكرنا سابقا فقد كان بطرس الكلونى على خلاف مذهبى مع رئيس رهبانية أخرى تدعى كليرفو Clairvaux وهو سان بيرنارد St. Bernard الذى كان ينتقد رهبانية كلونى . واتسع الخلاف المرير إلى أن أصبح أسوأ خلاف حدث فى تاريخ الرهبانيات والذى سمى الخلاف بين البيض والسود نسبة إلى أرواب « السيسترسيون » Cistercian البيضاء وهم من البندكتيين المتشددين ويرأسهم برنارد وبين أتباع بطرس الكلونيون ذوى الأرواب السوداء . وقد حاول بطرس فى رسائل عديدة موجهة إلى برنارد أن ينهى الخلافات بين الرهبانيتين والمذهبين ، كما حاول إثارة اهتمامه بأفكاره عن الإسلام والمسلمين وجذبه إلى عدو مشترك يتوجهون إليه بدلا من خلافاتهم .

كان بطرس الكلونى ينادى بحرب المسلمين بطريقة مزدوجة أى بحرب

(*) قام معهد العصور الوسطى الأمريكى بعمل حفريات وتنقيب عن كنيسة دير كلونى بين عامى ١٩٢٨ - ١٩٣٨ م .

عسكرية وحرب فكرية وكان فى كتاباته للملوك الصليبيين يؤمن بأن يكون الراهب مسيحيا فى فضائله عسكريا فى أعماله ، وأن تنصير المسلمين أنفع للمسيحية من قتلهم .

لقد تفوق بطرس الكلونى على الصليبيين فى صليبيته . فالصليبى كان همه فتح بيت المقدس وذبح المسلمين فى المسجد الأقصى ، بينما كان بطرس الكلونى يتمنى أن يصحب هذا الفتح العسكرى المجيد (الذى يؤيده) ، فتحا روحيا أيضا بتنصير المسلمين (وهى بداية محاكم التفتيش) وأن سيف الكنيسة الحقيقى ليس هو ذلك السيف المعروف بل سيف التبشير بالإنجيل والتنصير .

وكان يعتقد أن الحروب الصليبية كانت تهدف أولا وأخيرا إلى تنصير المسلمين ولكنها تحولت إلى عمل سياسى وعسكرى فقط ، فاقدة بذلك مهمتها الأساسية ، والتى لم تتم .

وأرجَع السبب فى ذلك إلى عدم معرفة المسيحيين بحقيقة الدين الإسلامى ، لذلك فإن المهمة الأساسية التى أوجبها على نفسه وحاول إغراء برنارد بمشاركته فيها هى دراسة هذا الدين ومحاجة المسلمين وإقناعهم بالتخلى عن الإسلام إلى المسيحية وإلى المخلص (بداية الاستشراق) .

وبدلا من شعار الحروب الصليبية الذى كان « نذبح المسلمين محبة فى الرب » To Slay for God's love نرفع شعار « سيف الكلمة بدلا من السيف » Verbalis ad usum, ferreus ad nutum « فأنا اقترب منك وأقول بالكلمات وليس بالقوة ولكن بالتفاهم ، وليس بالكره بل بالمحبة ، لا كما يفعل قومنا دائما بالسلاح » .

ولكن الكلونى نسى أن المسلمين لا يعرفون اللاتينية التى يتحدث ويكتب بها . ولا شك أن الحروب الصليبية التى دُبرّت لحرب أعداء المسيحية فى بلاد بعيدة لإيقاف زحف المسلمين على بلاد النصارى قد خلبت لبه كمسيحى ونالت تأييده الكامل ، إلا أنه كان يريد إضافة بعد آخر لهذه الحرب للوصول إلى النتيجة المرجوة وقد ساهم فى إعداد الحملات الصليبية ، وكان لا يمكن تصوره مخالفا لرغبات البابا فى تجهيز هذه الحملات .

وقد دُرِسَت الحرب الصليبية العسكرية ونالت اهتمام المؤرخين فى الوقت الذى أُهملت فيه دراسة ساحة الحرب الفكرية على الرسالة المحمدية ، والتى كانت أشد أثرا وتخريبا وتضليلا . وإن كان الأثر العسكرى للهجمة الصليبية قد توقف فى حينه على يد صلاح الدين الأيوبى إلا أن الهجمة الفكرية ما زالت مستمرة حتى الآن .

وإذا كان البابا أوربان الثانى خريج دير كلونى قد أعلن الحرب العسكرية على المسلمين فى خطبته الشهيرة فى كليرمونت عام ١٠٩٥ كما أسلفنا . فإن بطرس الكلونى قد أعلن الحرب الفكرية على

المسلمين والتى ما زالت آثارها تَشُرّ من الغرب عداء وبُغضا للإسلام والمسلمين ونبى الإسلام حتى عصرنا الحاضر .

وفى هذا السبيل خرج بطرس الكلونى فى عام ١١٤٢ برحلة إلى أسبانيا مكلّفا جفرى أوف بوردو برعاية الرهبانيات فى أثناء غيابه . وذلك بعد أن تلقى دعوة من الإمبراطور الفونس السابع لزيارته فكانت فرصة للإطلاع على كتابات المسلمين وإنتقاء ما يريده للترجمة اللاتينية ولقاء الإمبراطور الذى كان جده ألفونس السادس[1] ممن يدّعمون الدير بمساهمة سنوية تبلغ ألف مثقال[2] سنويا ، كما أنه تبرع ببناء كنيسة فى كلونى شكرا لله عندما سقطت طليطلة عام ١٠٨٥ .

وبعد توقف هذه التبرعات ولسوء الأحوال المالية فى الرهبانية كانت رحلته لأسبانيا تخدم أغراضا كثيرة ، وظل ينتقل بين الأديرة متفقدا شئونها ومشاكلها وقابل الإمبراطور الفونس السابع بعد أن زار بامبيللونا وكومبوستيلا (التى عاون رهبانها على تخليص أسبانيا من المسلمين) ودير سانتا ماريا دى ناجيرا ثم سلامانكا (الخريطة) حيث قابل الفونسو السابع الذى كان يحاصر المرابطين فى Coria وقد أقطع الفونسو كنيسة القديس بدرو دى كاردينا بجوار بوّرجوز لدير كلونى مع أملاك أخرى بالإضافة إلى العوائد الملكية التى يحصلها من حمامات البلدة العامة .

ولعل ما يهمنا فى هذه الرحلة هو تكليف بطرس الكلونى مجموعة مترجمين لدراسة وترجمة بعض الكتب للتعرف على الإسلام وتمويله لهذا المشروع واختياره لعدة كتب ألفها يهود متنصرين أو نصارى مستعربين وهى كتب أبعد ما تكون عن الإسلام الحقيقى ، بل هى إلى الأساطير والتلفيق أقرب ، ومن هذه الكتب اطلع الغرب أول ما اطلع على الإسلام ، هذا بالإضافة إلى توصيته بترجمة القرآن الكريم وذلك استعدادا لدحضه وتفنيده والهجوم عليه وتحريف كلماته ومعانيه والاستهزاء بما جاء فيه والتشفى من المسلمين .

وإن كان بطرس الكلونى هو أول من بدأ عملية النقد والدحض للإسلام Polemic فى الغرب إلا أنه سبقه آخرون فى الشرق بنفس العملية بما يسمى النقد الشرقى (Oriental Polemic) وينبع النقدان الغربى والشرقى من معين واحد هو الكره والحقد ومرارة الهزيمة .

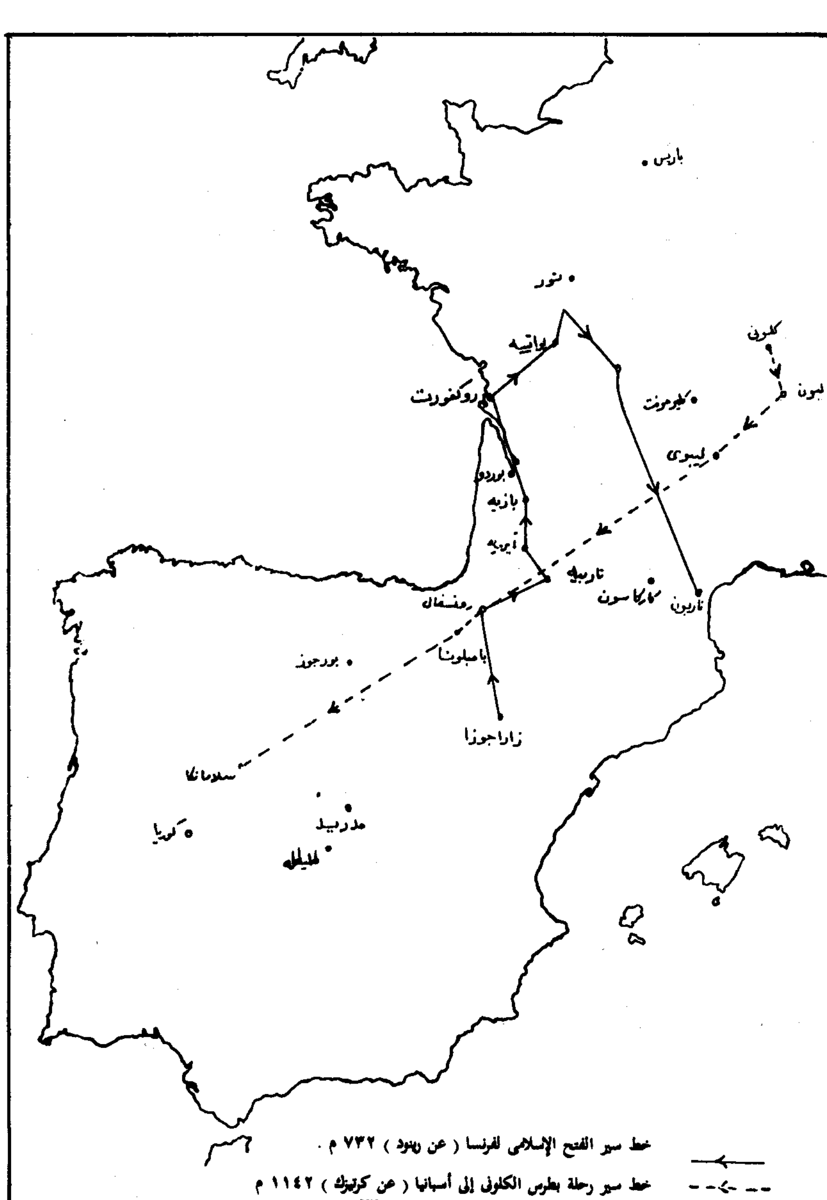
النقد[3] الشرقى Oriental Polemic :

بدأت عملية النقد والدحض للإسلام

(١) ألفونس السادس : إستعاد طليطلة من المسلمين عام ١٠٨٥ م .

(٢) المثقال : وحدة موازين عربية كانت تستعمل فى ذلك الوقت فى أسبانيا .

(٣) كلمة النقد ليست أدق الكلمات لمقابلة Polemic ولكن الكلمة تتراوح ما بين القدح والتهجّم والنقد والدحض والمحاجة والمجادلة والتفنيد وكل ما يهاجم به المرء دين الآخرين فكريا .


باريس
تور
بواتييه
روكفورت
كلونى
ليون
كليرمونت
ليموى
بوردو
بازيه
أيريه
تاربيه
كاركاسون
ناربون
رونسفال
بامبلونا
زاراجوزا
بورجوز
سلامانكا
مدريد
طليطلة
كوريا
خط سير الفتح الإسلامى لفرنسا (عن رينود) ٧٣٢ م .
خط سير رحلة بطرس الكلونى إلى أسبانيا (عن كرتيزك) ١١٤٢ م

بين المسيحيين الناطقين باللغة اليونانية الذين هزمهم العرب فى سوريا والذين عاشوا تحت الحكم الأموى . وقد نما هذا النقد الشرقى وأصبح له أدبا خاصا باللغة العربية (إن صح التعبير) كما نما فى الوقت نفسه نقدا بيزنطيا فى المناطق المجاورة لأراضى المسلمين كان أكثر حرية فى إظهار عدائه الصريح للإسلام .

وكانت هذه الحرية النفسية المعادية للإسلام تنتشر بين المسيحيين المحكومين بالحكم الإسلامى فى سوريا والعراق تحت حكم الأمويين والعباسيين وكانت المرارة تزداد بمرور الزمن .

وقد تبنى الغرب اللاتينى هذا النقد الشرقى فيما بعد ، وكان اللاتين فى تهجمهم على الإسلام متأثرين بالأفكار التى وردت إليهم من المسيحيين العرب واليونانيين فى الشرق علاوة على ما تعلموه من المستعرَبين[١] من مسيحيى الأندلس الذين عاشوا تحت حكم المسلمين (Mozarabs) وكان أول المتصدين للإسلام فى الشرق محاجة ومجادلة هو يوحنا الدمشقى وخليفته ثيودور أبو قرة . ويوحنا الدمشقى St. John of Damascus المولود لخمسين سنة من الهجرة قد أطلق شرحا أو صيغة تتبنى إتجاها قاسيا لكل معتقدات الإسلام والمسلمين ، بل يتطرف لإنكار كل ما يعتقده المسلمون عن الله أو المسيح حتى لو كان هذا الإعتقاد منسجما مع ما جاء فى المسيحية ، فطالما جاء به الإسلام فهو مرفوض ، كما ربط يوحنا الدمشقى بين الإسلام ومعتقدات المشركين فى الجاهلية ، وكان يظن أن الانطلاقة الإسلامية ما هى إلا زوبعة قصيرة العمر سرعان ما تعود إلى سابق جاهليتها وشركها . وكتاباته ومجادلاته هى خلط بين الإسلام ومعتقدات الجاهلية ومن كتاباته Dialexis-de haeresibus وفيها أثار الشبهات وهاجم الإسلام ومعتقداته رابطا إياها بالوثنية والشرك الجاهلى ولم يتخذ موقفا دفاعيا عن المسيحية فقط بل إتخذ موقفا هجوميا .

وبدأ فى التلاعب الجدلى الذى يتقنه المسيحيون المتأثرين بالفلسفات اليونانية فأثار مسائل جدلية مثل هل كلام الله مخلوق أم غير مخلوق ؟ وهل روح الله مخلوق أم غير مخلوق ؟ وهل كان هناك وقت لا كلام فيه لله ولا للروح ؟

وكان هذا الأسلوب الجدلى غريبا على المسلمين بينما كان أسلوبا عاديا كثرت ممارسته بين المسيحيين . ولعل كلمة « جدل بيزنطى » قد نبعت من هذه

---

(١) المستعربين (بفتح الراء) وليس بكسرها . فالناس هنا تشبهوا بالعرب فى الحضارة والثقافة واللغة وإن لم يدخلوا الإسلام فكان استعرابهم نتيجة لدخول المنتصر . وهذا يختلف عن الذى يستعرِب (بكسر الراء) مختارا لأغراض ومآرب لا يعلمها إلا الله . وقد سماهم العرب Mozarabs وهو نحت لكلمة مستعرب . كما سمى المولدون Mudejars .

المجادلات العقيمة . وقد وصل بيوحنا الدمشقى الإسفاف إلى درجة الحضيض فأشار إلى معتقدات إسلامية قرآنية بطرق غير صحيحة مثل « ناقة الله » وأن الوحى الذى ادعاه الرسول « كذا » كان يصاغ حسب رغباته الجنسية مشيرا إلى قصة زيد وزينب التى أعتبرت بعد ذلك (عند المسيحيين) من الكلاسيكيات التى يتغنون بها كيدا للإسلام .

وهو الذى ابتدع فكرة أن الرسول كان يستعين براهب مسيحى آبق[1] فى نقل ديانته عن العهدين القديم والجديد وكانت هذه الشبهات التى أثارها الدمشقى قد تلقفها المسيحيون فى الأندلس ونقلوها إلى اللاتين وكانت هى أساس الهجوم اللاتينى الغربى على المعتقد الإسلامى بعد ذلك .

وخلاصة القول أن حنا الدمشقى الذى كان يعيش فى كنف البلاط الأموى متمتعا بالحرية والأمن فى ظل المسلمين قد استغل هذه الحرية ليضع أساس الهجوم بإشارة الشبهات والتى أخذ اللاتين الغربيون (بطرس الكلونى) بعد ذلك طرف الخيط وأخذوا فى ترديدها بأساليب مختلفة .

فقصة نقل أفكار الدين الإسلامى عن كتب العهدين القديم والجديد عن طريق الراهب المسيحى بحيره والذى أصبح بعد ذلك فى أساطيرهم يدعى سرجيوس النستورى ، والتى رددها البيزنطيون ونقلها عنهم اللاتين وسجلها المسيحيون الناطقون بالعربية فى كتاباتهم مدعين أن بحيره قد أُجبر على كشف أسرار المسيحية لمحمد ، وكيف أن الناس قد خُدعت فى بقرة تأتى من السماء تحمل القرآن على قرنيها . أنها كتابات تحمل هجوما على شخص الرسول وسيرته وأخلاقه . وجاءت كتابات أخرى لبيزنطيين حاقدين رافضين للقرآن والنبوة أمثال نيكيتاس Nicetas فى كتاباته Anatrope وزيجابينوس فى كتاباته المتأثرة بالدمشقى Panoplia Dogmatike .

وكان من الطبيعى أن يكون النقد الشرقى سابقا للنقد الغربى وذلك لسبق هزائم البيزنطيين أمام المسلمين على هزائم اللاتين .

فلم يكن التعرّف على الإسلام ملحا فى الغرب حتى التقى الغرب وجها لوجه مع المسلمين فى فلسطين (الحروب الصليبية) وأسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا وفرنسا وسويسرا . وعندما شعر الغرب اللاتينى بالحاجة إلى التعرف على هذه القوة الجديدة ، وعندما بدأ انحسار المسلمين عن صقلية وفرنسا وشمال أسبانيا ، كانت رحلة

---

(١) ﴿ إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ... ﴾ (الفرقان : ٤) .
﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) .

بطرس الكلونى لأسبانيا ليبدأ هجومه الفكرى على الإسلام استكمالا للهجوم السياسى والحربى .

مشروع بطرس الكلونى لدراسة الإسلام ومهاجمته :

ومن المناسب هنا قبل الحديث عن الكتب التى اختارها بطرس الكلونى لتترجم وتكون قاعدة لهجومه على الإسلام ، التحدث عن مدرسة للترجمة والنقل من العربية إلى اللاتينية أقامها القس رايموند فى كنيسة بطليطلة فى عام ١١٢٥ - ١١٥٠ أى بعد سقوط المدينة فى يد ألفونس السادس بعد أن عاشت حوالى أربعة قرون تحت ظل الإسلام والمسلمين من عام ٧١٢ م حتى عام ١٠٨٥ م وكانت المدينة مركزا حضاريا وثقافيا أعتبرت نقطة انطلاق للشعلة الحضارية الإسلامية إلى أوروبا .

فقد قامت هذه المدرسة بترجمة كتب المسلمين بعد أن غادروها وكان النقل يجرى من العربية إلى اللاتينية . وعمل التراجمة أزواجا أزواجا لإنجاز الترجمات الكثيرة التى قامت بها هذه المدرسة وكان كثير من التراجمة من اليهود المتنصرين والنصارى المستعربين . وكانت اللغات المنتشرة فى أسبانيا فى ذلك الوقت هى :

(أ) العربية الفصحى للمراسلات الديوانية والدراسات .

(ب) العربيـة العاميـة للمحادثـة والإستعمال اليومى .

(ج) الرومـانس (الأسبانيـــة أو الكاستيللان) .

(د) اللاتينية فى الكنائس .

ومن أشهر التراجمة فى هذه المدرسة دومنجوجو نزاليس ، وجون الأشبيلى وقد ترجما الفرغانى فى الفلك - والفارابى فى الفلسفة - وابن سينا والغزالى ثم مترجمون آخرون أمثال هيج من سانتالا وبلاتو من تيفولى وأبراهام بَرْحِيّا وجيرارد من كريمونه . وكان إنتاجهم يقرب من ٧١ ترجمة تشتمل على ترجمات أيوقليدس - جالين - هيبوقريطس - أرسطاطاليس - الفارابى وغيرهم(١) .

عند زيارة بطرس الكلونى لأسبانيا كانت المدرسة قد أخرجت الكثير من الترجمات رغم حداثة سنها وكان يعمل بها كثير من التراجمة ، وبعد أن نمت وترعرعت أختيرت المدرسة فى عام ١٢٥٠ م كمدرسة للدراسات الشرقية وعندما بدأت فى الاضمحلال فى القرن الثالث عشر كانت المدرسة قد أنجزت نقل أكثر الأعمال الرئيسية للعرب واليونان فى

---

(١) حفظ العرب حضارة اليونان مترجمة ومزادة إلى العربية ومن طليطلة إطلع الغرب على الحضارتين الإسلامية واليونانية . وأيقظ المسلمون أوروبا عندما ترجمت كتبهم إلى اللاتينية .
إعتمدت على أعمال كرنيزك فى كتابة مشروع بطرس الكلونى والتراجمة الخمسة وأعمالهم .

العلوم والفلسفة إلى اللغة اللاتينية .

ويمكن القول بأنه لم يوجد فى أوروبا كلها مركز واحد لم يتأثر بترجمات هذه المدرسة .

المهم هنا أن مؤسس هذه المدرسة للترجمة القس رايموند قد تقابل مع بطرس الكلونى فى يوليو عام ١١٤٢ فى سلامانكا ولابد أن مشروع الترجمة الذى موله الكلونى قد نوقش فى هذا اللقاء ، كما أن مدرسة طليطلة للترجمة لابد وأن تكون قد أفادت فى مشروعه بطريق غير مباشر .

كلّف بطرس خمسة تراجمة بترجمة ما سمّى بمجموعة طليطلة والتى حفظت بعد ذلك فى دير كلونى لمدة أربعمائة سنة حتى اخترعت الطباعة ونشرت المجموعة لأول مرة فى بازل فى ١١ يناير ١٥٤٣ م .

والتراجمة الخمسة هم :

١ – المعلم بطرس الطليطلى Peter of Toledo :

وكان يتقن العربية وكان على معرفة بالعادات العربية والإسلامية وهو من عائلة مسيحيين مستعرَبين Mozarabs وساهم فى ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية ولعله راجعها بعد الترجمة وقد يكون هو الذى اختار مجموعة الكتب التى ترجمت مع القرآن الكريم لتنفيذ مشروع بطرس الكلونى ويمكن اعتباره عميد فريق المترجمين . وقد قام بترجمة أحد كتب المجموعة وهو كتاب الرسالة لعبد المسيح ابن إسحاق الكندى Epistola Saraceni et Rescripum وهذا الكتاب هو رسالة من عبد الله بن إسماعيل الهاشمى إلى عبد المسيح ابن إسحاق الكندى ورسالة الكندى ردا على الهاشمى ، وفيها دفاع حار عن عقيدة التثليث وقد لاقت هذه الرسالة إهتماما كبيرا من المنصّرين وترجمت إلى التركية والإنجليزية علاوة على اللاتينية والرسالة هى عبارة عن كتاب من مسلم فى عصر المأمون موجه إلى مسيحى يدعوه فيها إلى الإسلام ورد المسيحى عليه ويقال أن المأمون استمع إلى الرسالتين ويظن أن الرسالتين من خيال المؤلف المسيحى وهو حوار مسيحى متطرف ، طالما فرح به المنصرون حتى أيامنا هذه .

٢ – روبرت ألكيتونى Robert of Ketton :

وهو إنجليزى الأصل قام برحلات كثيرة قبل أن يستقر فى برشلونه عام ١١٣٦ لدراسة الفلك والهندسة وكان مولعا بهما وكان يشارك بلاتو من تيفولى أحد تراجمة مدرسة طليطلة فى ترجمة كتب المسلمين فى الفلك والهندسة . وهو المترجم الرئيسى للقرآن الكريم إلى اللاتينية وقد منح منصب أرشيدوق بامبللونا بعد الانتهاء من الترجمة وهو منصب كنسى رفيع مما يدل على أن روبرت كان قسيسا .

وفى عام ١١٤٤ ترجم كتابا فى

الكيمياء وفى السنة التالية انتهى من ترجمة الخوارزمى فى الجبر وكانت هذه الترجمة هى بداية علم الجبر فى أوروبا . واسُتعمل الكتاب استعمالا واسعا ككتاب دراسى للجبر ويقال أنه عاد بعد ذلك إلى لندن حيث راجع كتابا عن الأسطرلاب فى عام ١١٥٠ ورتب جداول فلكية لخط الطول لمدينة لندن وبنيت على أساس دراسات البتانى والزراكلى ، كما راجع جداول الخوارزمى . وكان صديقا حميما لمترجم آخر يدعى هرمان الدلماطى .

كتب روبرت عن ترجمته للقرآن الكريم يقول : « لقد كشفت بيدى قانون المدعو محمد ويسرت فهمه وضممته إلى كنوز اللغة الرومانية لمعرفة أسس هذا القانون حتى تتجلى أنوار الرب على البشرية ويعرف الناس حجر الأساس يسوع » .

وكتب يقول : « لقد رأت كنيسة كلونى فى بطرسها ، ما راه السيد المسيح فى رفيقه بطرس ويجب أن يُشكر (أى بطرس الكلونى) لتعرية مبادىء الإسلام للضوء بعد ما سمح الدارسون فى الكنيسة لهذا الكفر أن يتسع ويتضخم وينتشر لمدة نحو خمسمائة وسبعة وثلاثين عاما . وقد وضحت فى ترجمتى فى أى مستنقع فاشل يعشش مذهب السراسين (المسلمين) متمثلا فى عملى جندى مشاه الذى يشق الطريق لغيره .

لقد قشعت الدخان الذى أطلقه محمد ، لعلك تطفئه بنفخاتك[1] (أى بطرس الكلونى) هذه هى الروح التى سيطرت على مترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية فى خطاباته إلى مُستأجِرة . وقد استغرقت الترجمة إلى اللاتينية مدة سنة فقط . وكانت روح الاستهزاء والسخرية تظهر بوضوح فى كتابات روبرت وترجمته للقرآن الكريم وخصوصا فى تسميته للسور ، ثم فى خطاباته إلى بطرس ألكلونى .

وجاء على لسانه أنه عانى صعوبات كثيرة فى ترجمته للقرآن ، وأنه قد تصرّف بحرية مع النص حتى أنجز العمل . فمثلا سورة البقرة قسمّها إلى ثلاث سور واتبّع هذه القاعدة فى أماكن أخرى لذلك فقد انتهى بعدد لسور القرآن تزيد تسعة سور عن النص الأصلى .

٣ – بطرس من بواتييه Peter of Poitiers :

وكان راهبا فى دير كلونى وكان يعمل سكرتيرا لرئيس الرهبان بطرس ألكلونى

---

(١) ﴿ ومن أظلم ممن إفترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (الصف : ٧) .

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (الصف : ٨) .

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (الصف : ٩) .

وقد نمت صداقة قوية بينهما . وقد اختير رئيسا للرهبان فى سانت مارتيال فى ليموج وكان ذلك قبل وفاة بطرس الكلونى فى عام ١١٥٦ .

ويبدو أنه قام بما يشبه رئاسة التحرير للمجموعة الطليطلية والتى اعتبرت من ذخائر الدير والتى عكف عليها الرهبان ٤٠٠ سنة يتدارسونها ويستنبطون محاور الجدل والنقد والدحض والافتراء . فهو الذى قام بترتيبها عدة مرات وتحريرها ووضعها فى صورتها النهائية ورتب فيها كتاب الرسالة للكندى وكتاب آخر كتبه بطرس الكلونى سمى الخلاصة Summa بنى عليه ما استخلصه مما جاء فى المجموعة الطليطلية وقد كتب بطرس من بواتييه إلى بطرس الكلونى يقول :

« لقد رتبت الآن المجموعة ترتيبا أفضل من السابق فإن رضيت عنها كان بها وإلا فلك مطلق الحرية فى تصحيح ما تشاء . فأنت وحدك الذى مزق أعداء المسيحية الثلاثة بسيف الكلمة المقدسة ، وأعنى بهم اليهود والوثنـــــيين والسراسين (المسلمين)(١) ... إلى أن كتب يقول : ويجب علينا أن نكون شاكرين لعدم رغبة برنارد من كليرفو فى أن يسخر نفسه لهذا العمل (أى كتابة وجمع المجموعة الطليطلية كنقطة هجوم على المسلمين) » .

٤ – هرمان الدلماطى المتوفى عام ١١٧٢ Herman of Dalmatia :

الذى عاش فى أسبانيا وكان على صداقة حميمة مع روبرت من كيتون وأنهما كانا يدرسان سويا وبطريقة سرية لدفع الشبهة عنهما وعن نواياهم . وللدلماطى غير ترجماته فى مجموعة طليطلة عدة ترجمات أخرى واحدة فى الفلك لسهل بن بشير وجداول فلكية للخوارزمى وأبو معشر وللمجريطى وغيرهم . لقد استغل القوم الحرية والأمن فى ظل الإسلام فعكفوا على ترجمة علوم المسلمين إلى اللاتينية فيما يشبه فى عصرنا الحاضر محاولات السوفيت فى نقل تكنولوجيا الغرب ومحاولات الغرب فى نقل ما توصل إليه الشرق ، وغالبا ما كانت عملية النقل هذه تتم سرا وفى الكنائس بأيدى الرهبان والقسس .

أما دوره فى مجموعة طليطلة فقد قام بترجمة Liber generationis Mahumet وقد استكمل ترجمته فى ليون Leon عام ١١٤٢ م . ويقال أن بطرس الكلونى كان قد أرسله إلى الشام لتعلم العربية والعبرية وبقى بها ثلاثة عشر عاما تلقى فيها علوم النحو والصرف وعاد إلى الأندلس مدرسا للغة العربية فى مدرسة الآباء المسيحيين فى رتينا Rettina . وإن كانت هذه الواقعة

---

(١) دأب الأوروبيون على تحاشى كلمة إسلام ومسلمين وأطلقوا تسميات كثيرة أشهرها سراسين ، ومحمديون ، ومور ، وأتراك ولكن الإسم الحقيقى مرفوض لسمو معناه .

تحتاج إلى تواتر أو لعله هرمان آخر .

وكتاب Liber generationis Mahumet وهو كسابقه مملوء بالأساطير والإسرائيليات ويعتقد أن أصله فى العربية هو كتاب نسب رسول الله وهو من أخبار كعب الأحبار وسعيد بن عمر والكتاب يركز على مولد الرسول والنور الذى انتقل من عهد آدم جيلا بعد جيل إلى الرسول ﷺ .

٥ – وهناك شخصية غامضة باسم محمد ورد ذكرها مرة واحدة على هامش أحد الكتب الخمسة المترجمة والتى تكون المجموعة الطليطلية ، ولعل دور محمد هذا كان إعطاء المترجمين المعنى الدقيق للفظ العربى والمدلول الدينى ، ولعله كان يساعد روبرت وهيرمان فى ذلك . أما إذا كان قد قام بامداد المترجمين بنسخة من القرآن الكريم فإنه يكون بذلك قد ارتكب إثما لأن القرآن الكريم يجب أن يصان من الوقوع فى أيدى غير المسلمين ، ولعله كان مخدوعا فى أهداف مشروع الترجمة ذلك وظن أنه يساهم فى التقارب الإسلامى المسيحى وما أكثر المخدوعين حتى فى عصرنا هذا .

والإحتمال الأكبر هو أنها شخصية وهمية . فقد دأب القوم على وصف بعض الكتب بأن مؤلفها مسلم ارتد إلى المسيحية لإعطاء الكتاب توثيقا أكبر وهى حيلة طالما استعملوها وخصوصا عند ترجمة القرآن الكريم ، فكثيرا ما كانوا يدّعون أن الترجمة عن النص العربى فى الوقت الذى لا يعرف فيه المترجم اللغة العربية .

المجموعة الطليطلية Toledan Collectio والترجمة اللاتينية الأولى للقرآن الكريم :

وهى مجموعة الترجمات التى نفذت لحساب بطرس الكلونى . ولعل التسمية نسبة إلى بطرس الطليطلى . وقد احتوت على ترجمات لمسائل أبى الحارث عبد الله ابن سلام وكتاب نسب رسول الله لسعد ابن عمر وكتاب مجهول الأصل والإسم فى تاريخ الأنبياء وقصصهم والرسالة لعبد الله ابن إسماعيل الهاشمى إلى عبد المسيح ابن إسحاق الكندى هذا علاوة على ترجمة للقرآن الكريم وكتابات بطرس الكلونى للرد على المسلمين .

وكتاب « المسائل » لأبى الحارث عبد الله بن سلام هو كتاب بنى على أساس مائة سؤال موجهة من أربعة من اليهود إلى الرسول كما يزعم صاحبه يحتوى على كثير من الأساطير والتصورات اليهودية والإسرائيليات والأسئلة والأحاجى . وهذه بعض الأمثلة من الأسئلة التى ذكرت فى هذا الكتاب وتدل على مدى ضحالة المصادر التى اعتمد عليها بطرس الكلونى فى محاجّة المسلمين .

سأل اليهودى الرسول (كذا) : من هو الإبن الذى هو أقوى من أبيه ؟ جواب الرسول : هو الحديد الذى هو أقوى من الخام المأخوذ منه ، والنار التى هى أقوى من الحديد ، والماء هو أقوى من النار والريح التى هى أقوى من الماء . (ولعله

يلمّح إلى الإبن الذى هو أقوى من الأب عند المسيحيين ؟ أو إسرائيل الذى صارع الرب وصارعه ؟

سؤال : ما هى الأرض التى رأت الشمس مرة واحدة ولن تراها إلى آخر الزمان ؟

الجواب : قاع البحر الأحمر (تنويها بعبور موسى ؟) .

سؤال : من هى المرأة التى ولدت من رجل والرجل الذى ولد من عذراء ؟

جواب : حواء خلقت من ضلع آدم ، والمسيح ولد من عذراء . (وبما أن السائل يهودى فأى مسيح يقصد ؟) .

سؤال : ماذا يوجد تحت الأرض السابعة ؟

جواب : ثور يقف على حجر أبيض والحجر على جبل وتحت الجبل أرض وبحار وسمك .

هذا مثال لأحد الكتب التى نقل عنها الإسلام إلى أوروبا فى هذه المجموعة التى تعاونت عليها أيدى اليهود المتنصرين والنصارى المستعربين والقساوسة الحاقدين والتراجمة المأجورين ، ليبلغوا رسالة رب العالمين إلى الناطقين باللاتينية فى الأديرة والكنائس وسمى الكتاب باللاتينية Doctrina Mahumet .

أما كتاب نسب الرسول فهو كسابقه مملوء بالأساطير والإسرائيليات ويعتقد أن أصله فى العربية هو كتاب نسب رسول الله وهو من أخبار كعب الأحبار وسعيد بن عمر والكتاب يركز على مولد الرسول والنور الذى انتقل من عهد آدم جيلا بعد جيل إلى الرسول ﷺ وباللاتينية سمى الكتاب Liber generationis Mahumet et nutritia eius .

أما كتاب تاريخ الأنبياء والمسمى باللاتينية Fabulae Saracenorum فلم يعرف له أصل عربى وقد تكلم الكتاب عن آدم وخلق الإنسان وعدد الأنبياء والرسائل وأنهم بلغوا ١٢٠ ألف نبى منهم ٣١٥ رسول منهم خمسة من اليهود وخمسة من العرب واعتبر موسى أول الخمسة اليهود وعيسى آخرهم ، ويقول الكتاب أنه أنزل على الأنبياء ١٠٤ كتاب وأن العرب والفرس والرومان واليهود هم أكثر شعوب الأرض حكمة ، وأن الرسول قد رأى فى المنام أن عمر العالم هو سبعة آلاف سنة وأنه بعث فى الألف السادسة ثم سرد لسيرة حياة الرسول وسيرة الخلفاء الراشدين ومن سياق السرد يمكن للإنسان أن يستشف اليد غير المسلمة التى تؤرخ والتى تكتب .

هذه عينة الكتب التى جمعها بطرس الكلونى وترجمها علاوة على ترجمة روبرت من كيتون للقرآن الكريم إلى اللاتينية وقد رأينا كيف أنه أطلق ليده العنان فهو لم يترجم ترجمة أكاديمية ملتزمة فى حدود ما يسمح به الإختلاف الشديد بين اللغتين العربية واللاتينية .

فاللغة السامية الرفيعة للقرآن الكريم كان ولا شك مشكلة كبيرة لمن لا يحسن

العربية ولمن لا يعرف الإسلام فضلا عن ذلك لمن يتحامل على الإسلام . وكان علاج روبرت لهذه الصعوبة وكما كتب بنفسه إلى بطرس الكلونى هو التضحية بالدقة لحساب المعنى الإجمالى ، وكما يقول كريتزك أنه بهذا التحرر من النص قد وصل إلى نتائج تكاد أن تكون فكاهية .

فكما ذكرنا سابقا لم يلتزم بالسور كما جاءت بل قسم بعض السور إلى أكثر من سورة كما أنه لم يلتزم بالآيات فقد دمجها كما أراد ، وغير صيغ الكلام علاوة على الأخطاء الفاحشة فى ترجمة المعانى نفسها .

ويبدو أن ترجمة كتابه « الرسالة » لعبد المسيح بن إسحاق الكندى كان أكثر الترجمات دقة لأن الكتاب هو دفاع عن المسيحية ومحاجة للمسلمين بالأسلوب الذى تعرفه المسيحية مما سهّل الترجمة . وأضاف بعد ذلك بطرس الكلونى عدة كتابات ورسائل إلى هذه المجموعة وهى كتابات تنقض وتحاج المسلمين بما سمى Refutation « أى النقض » ورسائل موجهة إلى برنارد من كليرفو يشرح له ما وصل إليه مشروعه فى نقل أفكار المسلمين ومذهبهم وكتابهم إلى اللاتينية .

فكتب ما سمى بالخلاصة Summa tatius haeresis Saracenorum وكتب رسالة سميت Epistol Petri Cluniacensis ad Berardum Claravallis وكتاب ضد الإسلام بعنوان Libre Contra sectam sive haeresim Saracenorum .

وحفظت هذه المجموعة ومن ضمنها ترجمة القرآن الكريم بالصورة التى ذكرنا ، فى دير كلونى ووضعت تحت تصرف الدارسين من الرهبان وبقيت سرا بينهم لا يطلع عليها غيرهم خشية التأثر بتعاليم القرآن الكريم وظلت فى صورة مخطوطة حوالى ٤٠٠ سنة حتى أخترعت الطباعة .

طباعة الترجمة الأولى للقرآن الكريم باللغة اللاتينية :

فى عام ١٥٤٢ حاول ثلاثة من الدارسين فى مدينة بازل أن ينشروا مجموعة الترجمات هذه ولكنهم جُوبهوا برفض سلطات المدينة للنشر ولم يحتمل المجلس أن يأخذ على عاتقه السماح بالنشر لهذه الهرطقة والكفر وتركها توزّع وتروّج بين المسيحيين لتشوش أفكارهم وضمائرهم (كذا) .

ولكن الدارسين الثلاثة قرروا نشرها ليضعوا مجلس المدينة أمام الأمر الواقع وبدأوا بالطباعة فعلا ولكن السلطات علمت بالأمر فأوقفت الطباعة وصادرت ما طبع ووُضع أحدهم ويدعى أوبرينوس فى السجن .

ولكن سرعان ما حالف أوبرينوس الحظ عندما أرسل « مارتن لوثر » إلى مجلس المدينة خطابا قال فيه ، انه لا يوجد أضر على الإسلام والمسلمين من نشر هذا الكتاب . وبذلك أنهى المشكلة ووافق المجلس على النشر على ألا يوزع فى المدينة .

واستكملت طباعة المجموعة وفيها أول ترجمة للقرآن باللاتينية مع مقدمة لمارتن لوثر وفيليب ميلانختون ، وظهرت الطبعة فى ١١ يناير ١٥٤٣ . وكانت هذه الطبعة وتسمى طبعة بيبلياندر هى البداية لسيل من الترجمات باللغات الأوروبية أخذت فى الظهور منذ ذلك التاريخ حتى بلغت اللغات التى ترجم إليها القرآن الكريم ترجمة كاملة ٢١ لغة أوروبية عدا اللغة الأفريكانية باعتبارها لغة أوروبية وإن كانت تستعمل فى جنوب أفريقيا علاوة على ترجمات غير كاملة ومختارات بلغات أوروبية أخرى .

واللغات الأوروبية التى ترجم إليها القرآن الكريم ترجمة كاملة حتى الآن ومرتبة ترتيبا زمنيا(*) . هى :

١ – اللاتينية .	٢ – الإيطالية .
٣ – الألمانية .	٤ – التشيكية .
٥ – الهولندية .	٦ – الفرنسية .
٧ – الإنجليزية .	٨ – اليونانية .
٩ – الروسية .	١٠ – البولندية .
١١ – المنغارية .	١٢ – السويدية .
١٣ – الأسبانية .	١٤ – البرتغالية .
١٥ – اليوغوسلافية .	١٦ – البلغارية .
١٧ – الرمانية .	١٨ – الدنماركية .
١٩ – الألبانية .	٢٠ – الفلندية .
٢١ – النرويجية .	

وظهرت للترجمة اللاتينية التى طبعها بيبلياندر فى بازل عام ١٥٤٣ طبعات أخرى فى أعوام ١٥٥٠ م بزيورخ وعام ١٧٢١ م فى ليبزيج .

ويقال أن بيبلياندر هو الذى قام بالترجمة إلى اللاتينية ، كما أن هناك رأيا يقول أن طبعة بيبلياندر مأخوذة عن ترجمة أخرى قام بها رهبان كاثوليك فى إيطاليا وعلى أى الأحوال فإن الترجمة التى قام بها روبرت من كيتون وحفظت فى كلونى كانت أول محاولة لترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية .

وعلينا أن نتصور ترجمة للقرآن الكريم تكتب فى هذا الجو القاتم من المواجهة والعداء ؟ كيف تُكتب ؟ ولم يقف شر هذه الترجمة إلى اللغة اللاتينية بل أصبحت بعد طبعها مصدرا ميسرا للمترجمين فى إيطاليا وألمانيا وهولندا لعدم معرفتهم باللغة العربية .

فلم تكد تظهر طبعة بيبلياندر عام ١٥٤٣ فى بازل حتى ظهرت أول ترجمة باللغة الإيطالية عام ١٥٤٧ لأندريا أريفابينى فى فينيسيا وإن كان أريفابينى يدّعى أنه ترجم عن العربية غير أن الترجمة ما هى إلا نسخة عن اللاتينية التى نشرها

(*) لا يشترط أن تكون أول ترجمة فى هذا الترتيب ترجمة كاملة ، إنما أخذ فى الاعتبار التأثر بالترجمات اللاتينية الأولى .

بيبلياندر ثم ان ترجمة أريفابينى كانت مصدرا لأول ترجمة بالألمانية قام بها سلمون شفايجر وكان قسيسا واعظا فى كنيسة فراون كيرشه فى نورمبرج Frauen Kirsche am Nurenberg عام ١٦١٦ والتى بدورها أصبحت مصدرا لأول ترجمة بالهولندية قام بها مجهول عام ١٦٤١ وطبعت فى هامبورج وقد أعيدت طبعة شفايجر الألمانية مرة أخرى عام ١٦٢٣ ثم عام ١٦٥٩ ثم عام ١٦٦٤ .

وهذا يعنى أن هناك ثمانى طبعات فى أربع لغات كلها من مصدر واحد . وهى ثلاث طبعات باللاتينية وثلاث بالألمانية لشفايجر وواحدة بالإيطالية وواحدة بالهولندية(١) .

وإليكم ما يقوله جورج سال عن هذه الترجمة اللاتينية التى كانت أساسا للترجمة فى أربع لغات يقول : « ان ما نشره بيبلياندر فى اللاتينية زاعما بأنها ترجمة للقرآن الكريم لا تستحق اسم ترجمة فالأخطاء اللانهائية والحذف والإضافة والتصرف بحرية شديدة فى مواضع عديدة يصعب حصرها يجعل هذه الترجمة لا تشتمل على أى تشابه مع الأصل » .

وقد زاد أريفابينى الطين بلة بإضافة أخطاء جديدة بترجمته الإيطالية فازدادت الترجمة بعدا وخطأ عن الترجمة اللاتينية فما بالكم بالأصل العربى .

ترجمة أندريه دى ريور Andre De Ryer الفرنسية عام ١٦٤٧ م :

أما الترجمة المحيرة والتى عانيت كثيرا فى تنسيب مصادرها هى ترجمة دى ريور . وهو أندريه دى ريور سيور دى ماليزيه مستشرق ولد عام ١٥٨٠ فى مارسينى (شارولیه) إلتحق بالبلاط الملكى وعين فى السلك الدبلوماسى فى القسطنطينية ، ثم قنصلا فى الإسكندرية بمصر .

ألّف فى النحو التركى باللغة اللاتينية ١٦٣٠ م ، وترجم ديوان « سعدى » المعروف بعنوان كلستان من اللاتينية إلى الفرنسية (١٦٣٤)(٢) . كما ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية فى جزأين ويدعى صاحب الترجمة أنه على دراية بالتركية والعربية . وتحمّل هذا القنصل مشقة الترجمة إلى اللغة الفرنسية كأول ترجمة للقرآن الكريم بهذه اللغة . وأترك الكلام لكلود أتين سافارى صاحب الترجمة الفرنسية(٣) .

يقول كلود أتين سافارى Claude Etienne Savary :

« القرآن الكريم الذى شهد الشرق كله

---

(١) وأضيف هنا ترجمة دى ريور الفرنسية فالأرجح أنها مترجمة عن اللاتينية أيضا وليس عن العربية كما يدعى دى ريور .

(٢) أنظر : نورمان دانييل « الإسلام والغرب » ص : ٢٩٦ .

(٣) وهو غير فرانسوا سافارى دى بران سفير فرنسا فى إستانبول (١٥٩١ - ١٦٠٦ م) .

بكمال أسلوبه وعظمة تصويره يبدو تحت قلم دى ريور مقطوعة مملة سقيمة واللوم يقع على طريقته فى الترجمة . فالقرآن منظوم فى آيات لها ترنيم يشبه الشعر وليس بالشعر .

ولكن دى ريور لم يلق بالا إلى النص الذى يعالجه ، فجمع الآيات فى مقال متواصل ضاعت فيه كرامة المعنى وجمال الأسلوب تحت وطأة تركيباته الجامدة وجمله الغامضة حتى ليصعب على الإنسان أن يعرف أن هذه الترجمة السقيمة لذاك الأصل .

وحتى أن القارىء لهذه الترجمة لا يمكن أن يتصور على الإطلاق أن هذا القرآن آية فى كمال التعبير بالعربية » .

هل دى ريور ترجم حقا عن العربية أم كانت له مصادر أخرى تعينه على ترجمة النص العربى بالصورة الرهيبة الممزقة التى وصل إليها ؟ كانت هناك تراجم سابقة له فى اللغات الأوروبية وهى ترجمات فى اللاتينية والألمانية والإيطالية والهولندية فهل كان دى ريور على غير علم بهذه اللغات الأوروبية بينما كان يتقن العربية والتركية ؟ لا أستطيع أن أجزم بشىء فالأمر يحتاج إلى دراسة خاصة لشخصية دى ريور وحياته ، ولكن المؤكد أنه كان على معرفة باللاتينية التى ترجم منها شعر سعدى .

هل اطلع دى ريور على ترجمة باللغة الأراجونية لجوناس أندرياس والتى ظلت على شكل مخطوط وهى لطبيب يقال أنه ارتد عن الإسلام وأصبح قسيسا وهو من سكان زاتيفاقى فى مملكة فالينسيا ؟

هل يعتبر عمل دى ريور بداية فى ذاته مثل ترجمة دير كلونى دون التأثر بالترجمات التى سبقته ؟

إن ترجمة دى ريور على أى حال فاقت ترجمة دير كلونى فى العدوى والإنتشار فما أن ظهرت عام ١٦٤٧ فى الفرنسية حتى ترجمها ألكسندر روس عام ١٦٤٩ كأول ترجمة فى الإنجليزية ثم تبعه ر . تيلور عام ١٦٨٨ فى الإنجليزية .

وفى نفس العام ترجمها « لانج » إلى الألمانية ثم فى عام ١٦٥٧ « جلازماخر » إلى الهولندية وقد طبعت ترجمة جلازماخر بعد ذلك طبعات عديدة فى أعوام ١٦٥٨ - ١٦٩٦ - ١٦٩٨ - ١٧٢١ - ١٧٣٤ - ١٧٩٩ م .

ثم انتقلت عدوى دى ريور إلى الروسية عام ١٧١٦ عندما نقل عنها بوستينكوف (ديمترى كانتماير) ثم فريوفكين عام ١٧٩٠ فى الروسية .

واستطرد هنا لأبين احتمال علاقة دى ريو براهب لبنانى مارونى يسمى جبرائيل صهيون الإهدنى (نسبة إلى إهدن بلبنان) .

فقد أسس البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ - ١٥٨٧) المعهد اليونانى سنة ١٥٧٦ والمعهد المارونى سنة ١٥٨٤ وكان الغرض من ذلك هو تعليم الشبان المسيحيين القادمين من الشرق حتى

يتمكنوا عند عودتهم إلى بلدانهم من نشر تعاليم المذهب الكاثوليكى والتصدى لحركة التبشير البروتستانتية هناك وقد فضل بعض الشبان المارونيين البقاء بأوروبا بعد إنهاء دراستهم . وقد لعب هؤلاء دورا كبيرا فى نشر الكتب العربية بروما وباريس وفى تدعيم الدراسات العربية بأوروبا وذلك بالتدريس والترجمة ونشر الكتب . ومن بين هؤلاء نذكر جبرائيل صهيون الإهدنى وإبراهيم الحاقلانى وجرجس عميرة وسركيس الرزّى ويوحنا الحصرونى .

وقد شغل فرانسوا سافارى دى بران منصب سفير فرنسا فى إستانبول (١٥٩١ - ١٦٠٦) ثم فى روما (١٦٠٨ - ١٦١٤) وقد ألف كتيبا عرض فيه إمكانية استغلال قوة المسيحيين بالشرق لإزعاج الدول العثمانية .

وقد أسس مطبعة شرقية لنشر الكتب المسيحية بقصد توزيعها بالشرق . وعند عودة السفير إلى باريس عام ١٦١٥ قادما من روما اصطحب معه مارونيين هما جبرائيل صهيون الإهدنى ويوحنا الحصرونى ومن مطبعته التى أسسها فى روما حمل معه القوالب والحروف العربية وهما أثمن ما فى المطابع فى ذلك العهد بقصد تأسيس مطبعة جديدة فى باريس وكانت هذه الحروف والقوالب قد عمل على حفرها منذ إقامته بالقسطنطينية وهى مجموعات للحروف العربية فى ثلاثة أحجام . ونشرت هذه المطبعة كتابا فى صناعة النحو من خمسة أجزاء من تأليف جبرائيل صهيون ويوحنا الحصرونى كما شارك جبرائيل صهيون وجاك دى صولاك فى إعداد الأحرف العربية لطباعة الكتاب المقدس المتعدد اللغات وكان ذلك فى عام ١٦٤٥ وأعاد صهيون طباعة كتاب سبعة مزامير التوبة .

أما العمل الكبير الذى اشترك فيه جبرائيل صهيون ويوحنا الحصرونى وإبراهيم الحاقلانى فهو إعداد النص العربى للكتاب المقدس المتعدد اللغات (سبع لغات وهى العربية والسمارية والكلدانية واليونانية والسريانية واللاتينية والعبرية) والذى أصدره لوجاى (Lejay) عام ١٦٤٥ .

كما أن جبرائيل صهيون قام بترجمة للقرآن الكريم باللغة اللاتينية وهى ترجمة جزئية وكان ذلك عام ١٦٣٠ وتعتبر هذه الترجمة ثالث محاولة لترجمة القرآن الكريم بعد ترجمة روبرت من كيتون وترجمة سكاليبه شرشيبه (الجزئية) Scaliger Cherchait عام ١٥٧٩ .

إذا فجبرائيل صهيون رجل متمرس فى أمور الترجمة والنشر والطباعة على دراية بالكتاب المقدس والقرآن الكريم واللغة العربية واللاتينية وكان يعمل مع سفير فرنسا السابق سافارى دى براف وكان يعيش فى باريس ويعمل فى مطبعة سافارى العربية الوحيدة حينئذ .

ودى ريور أخرج ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم عام ١٦٤٧ وكان سفيرا فى الاسكندرية وإسطنبول أيضاً ولابد وأنه على معرفة بزميله السفير سافارى ولابد وأنه كان يعلم بالمطبعة التى أقامها سافارى والطباعة فى ذلك الوقت كانت عملية فريدة ، كما يعلم بحضور دارسين من الشرق على دراية بالعربية واللاتينية وطالما أنه بصدد ترجمة القرآن الكريم من العربية وتوجد ترجمة باللاتينية (كلونى) وقد نقلت إلى الإيطالية والألمانية والهولندية . فإن مصادر دى ريور الممكنة والميسرة له فى باريس فى ذلك التاريخ هى :

ترجمة كلونى باللاتينية - ترجمة أندريا أريفابينى الإيطالية - ترجمة سلمون شفايجر الألمانية - ترجمة سلمون شفايجر الهولندية - علاوة على دارسين موارنة يعملون عند سفير زميل له (سافارى) يعرفون العربية كلغة الأم واللاتينية بحكم دراستهم فى المعهد المارونى فى روما علاوة على الإيطالية والفرنسية .

لذلك فإن الشواهد والترجيح أن دى ريور (الذى ما زلت أبحث فى تاريخ حياته) لم يترجم عن العربية مباشرة إنما إستعان بالوسائل السابقة الميسرة له وهى الترجمات المختلفة المأخوذة عن الترجمة اللاتينية علاوة على الترجمة اللاتينية نفسها ولعل جبرائيل صهيون قد عاون دى ريور فى عربيته التى لابد وأن تكون سيئة للغاية كما تظهر من ترجمته الفرنسية وأن اطلاق كلمة دى ريور للقرآن الكريم « عن العربية » يجب أن تُصحح ويُعرف تماما مصادره التى اعتمد عليها فى ترجمته ، مع ملاحظة أنه يعرف اللاتينية .

والترجمة السيئة لا يتوقف شرها على اللغة التى وضعت بها أصلا بل تنتقل عدواها ويعم شرها باستعمالها كأصل لترجمات بلغات أخرى عديدة كما فى ترجمة دى ريور التى أشك فى أنها ترجمت عن الأصل العربى .

والنسخة الموجودة فى مجموعة الكاتب وهى طبعة عام ١٧٣٤ بأمستردام ، تقع فى جزأين ويتصدر كل جزء صورة لرجل يلبس اللباس التركى والعمامة ويجلس أمام سبيل ماء من الطراز العثمانى وحوله مجموعة من المستعمعين فى أزياء تركية متعددة والخلفية لأشجار وما يشبه البسفور مما يوحى بأن المقصود بالصورة هو نبى المسلمين والذى يضع هلالا على رأسه ، ومما يثير الفزع أن الجملة الوحيدة التى كتبت باللغة العربية فى الترجمة والتى جاءت فى التقديم قد كتبت بطريقة تدل على أن المقدم (دى ريور) لا يعرف العربية يقينا فقد كتبت كالتالى :

رسول الله لا إلـــه

إلا الله محمـــــد

وإذا كان يعرف العربية حقا وكتب لفظ الشهادة بهذه الصورة فالمصيبة أعظم . فهذه الترجمة المحرفة قد طبعت ٢٢ مرة

بالفرنسية وترجمت إلى الإنجليزية والروسية وفى ثمانية طبعات بالهولندية كما أسلفنا .

والشخصية التى تضع فى مقدمة الترجمة صورا لخطابات تزكية من قنصل مرسيليا ومن السلطان مراد ، لغير سبب واضح يتعلق بترجمته للقرآن الكريم إلى الفرنسية ، لابد وأنها تحتاج إلى وقفة .

ويمكن القول بأن ترجمة دى ريور هى نسخة من ترجمة دير كلونى اللاتينية المشوهة أيضا رغم زعمه بأنها عن العربية ففى كلا الترجمتين نرى أن السورة تترجم ككل وليس هناك آيات ، والجديد فى الموضوع هو إضافته فى الهوامش تعليقات كتب أنها عن البيضاوى وعن جلال الدين مما يوحى أن الكاتب كان يستعمل المراجع العربية لتبحّره فى هذه اللغة ولكن هنا يبدأ دور الدارسين الموارنة أمثال جبرائيل صهيون ويوحنا الحصرونى ففى إمكان هؤلاء إضافة هذا التوثيق العربى .

وقد تكررت نفس الصورة فى ترجمة جورج سال إلى الإنجليزية وكما رأينا فى ترجمة أريفابينى إلى الإيطالية عندما زعم أنها عن العربية أيضا وثبت أنه كان لا يعرف العربية .

ويمكن القول أن الترجمات الأوروبية إلى ما قبل ظهور ترجمة لودفيجو ماراكيوس عام ١٦٩٨ م كانت واقعة تحت تأثير الترجمة اللاتينية الأولى لدير كلونى وحتى بعد ذلك التاريخ ، كانت بعض الطبعات لهذه الترجمات ما زالت يعاد طباعتها وذلك بعد ظهور ترجمة ماراكيوس بما يقرب من قرن من الزمان فترجمة جلازماخر الهولندية كانت ما زالت تطبع حتى عام ١٧٩٩ م .

الترجمة اللاتينية الثانية للقس لودفيجو ماركيوس(*) (١٦١٢ - ١٧٠٠ م) :

عندما أقول الثانية فإنى أكون قد أهملت سكاليه شرشييه (عربى - لاتينى) (١٥٧٩) وترجمة جبرائيل الصهيونى (باريس) الجزئية (١٦٣٠) وترجمة كريستسانوس رافوس (١٦٤٦) والتى كتب فيها النص بالحرف العبرى وإهمالها كان بسبب عدم ذيوعها وانتشارها وتأثيرها على الترجمات الأخرى . ولودفيجو ماراكيوس ولد فى لوكا بمقاطعة توسكانى فى نهاية عام ١٦١٢ م .

وبعد دراسته الأولية دخل سلك الدراسات اللاهوتية والسريانية واشتهر بصلاحه وتقواه ، وتقلد عدة مناصب درس أثناءها اللغات اليونانية والعبرية والسريانية والكلدانية والعربية وقد درّس هذه اللغات فى كلية سابينزا بروما ثم فى كلية بروجاندا بأمر البابا كليمنت السابع .

(*) هو Ludovico Marraccio أو Ludovicus Marracius وذلك باللاتينية ولويجى مراتشى بالايطالية ولودفيج بالألمانية ولويس مراتشى بالفرنسية ونطق كلمة مراكيوس والتى تكتب أحيانا مراكشى وأحيانا مراتشى وجد فيه اختلاف لذلك استعملت التسمية اللاتينية ماراكيوس ، وإذا وجد القارىء أحد التسميات =

وعندما طلب منه اختبار بعض الوثائق التى وردت من أسبانيا وكان يظن أنها للقديس سانت جيمس ، بيّن ماراكيوس أنها ليست لذلك القديس بل يمكن أن تكون من عمل بعض المسلمين الذين أرادوا خداع المسيحيين . مما حدا بالبابا أنوسنتى الحادى عشر باختياره للعمل عنده وسبغ ثقته الكاملة عليه . وكان يمكن أن يرفع لأعلى المناصب الكنسية لولا تواضع ماراكيـــوس ورفضه للمنـــاصب . وبتوجيهات من البابا شرع فى ترجمة لاتينية جديدة للقرآن الكريم وذلك للرد على المسلمين وللجدل الدينى . وعندما انتهى من عمله بعد أربعين سنة كان قد سطر (عدة مجلدات) وفى هذه المجلدات كتب النص القرآنى العربى علاوة على الترجمة اللاتينية الحرفية وفى هذه المرة رقم الأيات ثم أتبع ذلك برأى المسلمين فى شرحها ، وأتبع ذلك بالنقد والرفض والهجوم الجدلى على القرآن الكريم .

وقد كانت لمراكيوس حرية الاستعانة بمكتبة الفاتيكان ومجموعات مكتبية أخرى كثيرة منها المجموعة المارونية – المجموعة الكارمالية ، مكتبة الكاردينال كاميللى ماكسيميس ، مكتبة إبراهيم المارونى وغيرها . وطبعت ترجمته أول مرة فى مدينة بدوا الإيطالية عام ١٦٩٨ ثم فى ليبزج عام ١٧٢١ مع مقدمة لكرستيان رنيشى .

كما شارك فى ترجمة الإنجيل إلى اللغة العربية بمبادرة من مطران حلب عام ١٦٢٤ ونشرت فى روما عام ١٦٧١ م .

وإن كان للشر أن يقيّم فإنه يمكن القول أن ترجمة ماراكيوس كانت أكثر رفضا وتجريحا من سابقتها ، فهى أشد جدلا وهجوما على القرآن الكريم وأدق ترجمة

= المذكورة فليعلم أنها لنفس الشخص .

(طبعة روما ١٦٩٨) .

Volum I Prodromus ad refutationem Alcorani
Volum II Alcorani textus universus ....
exaravico idiomate in latinum traslatus
......auctore Ludovico Marracio. Patavii 1698.

(طبعة ليبنزج ١٧٢١ م) .

Mohamedis Filii Abdallae Pseudo-Prophetae Fides islamica i.e.
Al-Coranus ex idiomate arabico, quo primum a Mohammede conscriptus
est, Latine versus per Ludovicum Marraccium ......
Cura et Opera M.Christiani Reineccii Lipsiae 1721.

ذكر دنيس روس فى مجلة مدرسة الدراسات الشرقية ١٩٢١ – ١٩٢٣ ، ص : ١١٧ – ١٢٣ ، أن المجلدات ثلاثة وذكر النسخة المحفوظة فى مركز البحوث للتاريخ والثقافة والفنون الإسلامية بإستانبول =

وأوسع مصادرا وأكثر عمقا وخبثا فشتان بين عمل يستمر أربعين سنة من عالم زاهد متمكن من العديد من اللغات الشرقية وتحت يده مكتبات الكنائس ومجموعات غنية بالكتب وبين روبرت من كيتون الفلكي الرياضي الذى ترجم وسب وهاجم فى سنة واحدة وليس عنده كل هذه المراجع ولا المعرفة باللغات الشرقية . ولا شك أن تفنيدا استغرق أربعون سنة لإعداده يكون أكثر شرا من سابقه .

وإذا كانت ترجمة دير كلونى اللاتينية الأولى هى المؤثر الأكبر على الترجمات فى اللغات الأوروبية فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر فإن ترجمة ماراكيوس كانت المؤثر الأكبر على الترجمات فى اللغات الأوروبية فى القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر ، وبقدر الفرق بين الترجمتين الأولى والثانية من الناحية الأكاديمية كان الفرق بين الترجمات الأوروبية المتأثرة بالأولى والترجمات الأوروبية المتأثرة بالثانية . فإذا قلنا بتفاهة ترجمة دى ريور فيمكن إرجاع ذلك للنبع الذى أخذت منه وهى ترجمة كلونى وإذا قيل ان ترجمة جورج سال أكثر أكاديمية من ترجمات روس وتيلور فهذا بديهى فمراكيوس قدم له ترجمة أكثر دقة من سابقه . وهو نفس الفرق الذى نجده فى الألمانية بين ترجمة سلمون شفايجر (عن الكلونى) وترجمة دافيد نريتر (عن ماراكيوس) . فرجع الصدى يتطابق مع مصدر الصوت .

إن مقدمة ترجمة ماراكيوس تشبه مقدمة ترجمة بيتر الكلونى . فقد فصّل وجهة النظر المسيحية ناعيا على المسيحية إهمالها لمهاجمة الإسلام ومجددا لهذا الهجوم بطريقة أكثر إحكاما وتقدما من سابقه . والترجمة من الناحية اللغوية أدق من ترجمة الكلونى حتى أنها أصبحت مصدرا لترجمة جورج سال الإنجليزية .

وإن روح النقد والشبهات الذين أثارهما ماراكيوس ليسا جديدين على الترجمات اللاتينية فبعضها يصب فى بعض .

وما سماه Prodromus فى مقدمة ترجمته يحاول فيها أن يثبت أن الإسلام ونبى الإسلام لم يذكرا فى الكتب السماوية وأن الإسلام لم يدعّم بالمعجزات مثل المسيحية ، ثم يدافع عن الفكرة المسيحية فى التثليث وعن إستحالة أن يفسد المسيحيون كتابهم بأيديهم كما يدافع عن تشرذم المسيحية إلى مذاهب كثيرة متعددة بعكس الإسلام كما يهاجم الإسلام متهما أياه بالعنف والإغراق فى الجنس .

= والمطبوعة فى بادوا عام ١٦٩٨ مطبوعة فى جزأين أى أن المجلدات الثلاث طبعت فى جزأين. وقد يكون سبب هذا الخلاف هو أن الجزء الأول من ترجمته طبع مرتين والجزء الثانى مرة واحدة ، وقد اكتشف ذلك فى مؤسسة هارتفورد للاهوت بالولايات المتحدة .

Duncan Brockway, The second edition of Vol. I of Marracci's Alcorani Textus Universus.

أما ما سماه Refutationes والذى ورد مع نص الترجمة آية بآية فإنه لم يغادر شيئا إلا ونقده ويمكن القول أنه قد جمع فيه كل ما قالته المسيحية فى الإسلام . ويقول ماراكيوس أنه عندما سرد سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام مستعملا المصادر العربية فإن ذلك ليس لثقتى بهذه المصادر ، ولكن عندما نحارب أعداء الدين فإننا نهاجمهم بسلاحهم هم وليس بسلاحنا لذا فإننا عندما ننتصر عليهم تكون سعادتنا أكبر .

أثر الترجمة اللاتينية الثانية لماراكيوس :

بعد ظهور ترجمة ماراكيوس ، قام دافيد نريتر بترجمته إلى الألمانية عام ١٧٠٣ نقلا عن ماراكيوس . وكانت أوسع ترجمة إنتشارا نقلت عن ماراكيوس هى الترجمة الإنجليزية لجورج سال(١) عام ١٧٣٤ . وإذا كانت ترجمة دى ريور هى رجع الصدى لترجمة الكلونى اللاتينية الأولى والتى حملت ميكروب التهجم إلى اللغات الأوروبية .

فإن ترجمة جورج سال كانت رجع الصدى لترجمة ماراكيوس وكانت الأداة التى نقلت أفكاره إلى اللغات الأوروبية أيضا .

ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول التالى وفيه نرى أن لكل من الترجمتين اللاتينيتين تابع رئيسى وزع تأثيرهما على باقى اللغات الأوروبية .

---

(١) جورج سال George Sale (١٦٩٧ - ١٧٣٦) .

ولد جورج سال فى مقاطعة كنت حوالى عام ١٦٩٧ ، أبوه صاموئيل سال كان يعمل تاجرا فى لندن ، وتلقى تعليمه فى كنجز سكول فى كانتر برى ، ثم التحق كطالب بمعبد (Inner Temple) عام ١٧٢٠ .

وفى نفس العام أرسل بطريرك أنطاكية سلمون نجرى إلى لندن ليحث جمعية تقدم المعرفة المسيحية التى أسست (المعبد الأوسط Middle Temple) بالقيام بإصدار إنجيل باللغة العربية لاستعمال السوريين المسيحيين ، ويظن أن سلمون نجرى كان أول من علمّه العربية كما أن ترجمان الملك ويدعى داديشى Dadichi وهو يونانى من حلب كان يعلمه اللغات الشرقية .

ومهما كان الكم الذى تعلمه جورج من العربية فإنه تقدم للجمعية عارضا خدماته ليكون مصححا للإنجيل العربى المذكور ، وسرعان ما أصبح مشرفا على المشروع كله علاوة على أنه أصبح محاميا للجمعية المذكورة .

زعم فوليتر فى كتابه « القاموس الفلسفى » Dictionaire Philosophique أن جورج أمضى خمسة وعشرون عاما فى بلاد العرب . وهذا الخطأ الذى وقع فيه فوليتر والذى لا دليل عليه على الاطلاق تؤكده مدة حياته فقد مات محموما ولم يبلغ الأربعين من عمره . وظهرت ترجمته للقرآن الكريم عام ١٧٣٤ م مع مقدمة مسهبة عن الدين الإسلامى حشاها بالإفك واللغو والتجريح وقد نقلها إلى العربية أمين الهاشم العربى وطبعت بالقاهرة عام ١٩١٣ ، ومنذ ظهور ترجمته طبعت حتى الآن ١٠٥ طبعة فى لندن وشيكاغو وفيلادلفيا ونيويورك وبوسطن وباريس .

القرن	الترجمة اللاتينية	التابع الرئيسى	اللغات التى نقلت عن التابع الرئيسى
١٦ و ١٧	ترجمة دير كلونى	دى ريور (فرنسية)	الإيطالية – الهولندية – الألمانية – الفرنسية – الروسية .
١٨ و ١٩	ترجمة ماراكيوس	جورج سال (إنجليزية)	الإنجليزية – الفرنسية – اللاتينية – الألمانية – الروسية – الهولندية – الإيطالية – الألبانية – البلغارية – المجرية – التشيكية .

فما كادت ترجمة جورج سال تظهر بالإنجليزية حتى تلتها ترجمة له بالفرنسية عام ١٧٥٠ م نقل عنها ك . سافارى عام ١٧٨٣ فى الفرنسية ، وكازيمرسكى عام ١٨٤٠ فى الفرنسية أيضا ثم تيودور أرنولد عن سال فى الألمانية عام ١٧٤٦ ثم جورج سال فى الروسية عام ١٧٩٢ ثم سافارى بالروسية لمجهول عام ١٨٤٤ ، ونيكولاييف عن سال وكازيمرسكى فى الروسية عام ١٨٦٤ ، ثم كوليبه فى بتافيا بالهولندية عام ١٨٥٩ وجيوفانى بانزيرى[1] فى الإيطالية عام ١٨٨٢ .

ثم فينسنت إدرتيز ديلابوييلا بالأسبانية عام ١٨٧٢ ثم ألوميتكو قافزيزى بالألبانية عام ١٩٢١ فنيكولاس ليتزا عام ١٩٠٢ ، ١٩١٠ ، بالبلغارية ثم تيموفوف فى البلغارية عام ١٩٣٠ وهكذا نجد أن أفكار ماراكيوس قد حطمت حاجز المكان والزمان وأخذت تشر دما فاسدا على رؤوس الأوروبيين بشتى اللغات فهى كالوباء الذى يستشرى حتى لا يجد ما يطحنه فينتقل إلى مكان آخر أو يظهر بعد عدة سنوات .

ماذا يقول جورج سال عن ترجمة ماراكيوس : « إن ترجمة ماراكيوس بصفة عامة مضبوطة ولكنها حرفية سهلة الفهم

---

(١) شوفان يعتقد أن هذه الترجمة عن ك . سافارى وليست عن سال وفى كلا الحالين فإن الأصل هو ماراكيوس .

– أول ترجمة مجرية Szdmajer, Imre عام ١٨٣١ مأخوذة عن ماراكيوس .

– يقول أرثر جفرى أن أول ترجمة إلى اللغة التشيكية كانت عن ماراكيوس أيضا وكانت لـ فيسلى إجناز عام ١٩١٣ : Vesly Ignac .

إن لم أكن قد خدعت بمن ليسوا على علم بدين محمد . والشروح التى أضافها كانت ذات فائدة كبيرة ولا شك ولكن رده ونقده للقرآن ضخّم عمله إلى مجلد كبير لا طائل منه وغير شاف وأحيانا خارج عن الموضوع .

وعموما فالعمل بكل أخطائه كان مفيدا ، **وأشعر بالذنب وعدم العرفان بالجميل إن لم أعترف بفضله علىّ ....**

أما ك . سافارى فيقول : « ماراكيوس هذا الراهب المثقف والذى أمضىٰ أربعين سنة فى الترجمة والرد على القرآن سار فى ترجمته المسار الصحيح فى تقسيم عمله إلى ترجمة الآيات كما فى النص الأصلى غير أنه ترجمها ترجمة حرفيا ونسى أن النص الذى فى يده عمل فريد غير عادى .

فهو لم يعبر عن معانى القرآن بل نقل الكلمات إلى لغة لاتينية بربرية وبعد أن فقد الأصل كل جماله فإن ترجمته ما زالت أفضل من ترجمة دى ريور » .

هذه أقوال من استفادوا واعتمدوا على ماراكيوس فى ترجماتهم وعلى الرغم من إدعاء جورج سال بأن ترجمته كانت عن العربية إلا أنه يشعر بالذنب إن لم يعترف بفضل ترجمة ماراكيوس ، كما أنه يخشى أن يكون قد خدعه من لا يعرفون دين محمد . وكأنه كان هناك من يمده بالمعلومات عن العربية وهو غير متأكد من تمام معرفتهم بها وخشى أن يكونوا قد ضللوه .

إن قائمة طبعات جورج سال قائمة طويلة فى اللغة الإنجليزية وفى غيرها من اللغات حتى أن هذه الترجمة أصبحت من العلامات الغارقة كما ذكرت .

ولا شك أن الإناء ينضح بما فيه ، فإن ساء الموجه ساء الموجه وإن أخطأ الدليل ضل التابع وهذا ما أحدثته الترجمتان اللاتينيتان فقد كانتا الضوء الأخضر الذى أذن لأوروبا كلها فى شتى لغاتها باقتفاء أثريهما رغم إدعاء البعض بأنه نقل عن العربية مباشرة إلا أنه سرعان ما يتراجع ويعود إلى جذور اللاتينية فى ترجمته . ومن الجدول الملون المرافق يمكن الملاحظة بسهولة أن اللغات الأوروبية تكاد تكون على إطلاقها قد اعتمدت على الترجمات اللاتينية إما مباشرة أو عن طريق لغة أوروبية باللغة البلغارية ١٩٣٠ اهتم بإخراجها مبشر ألمانى يدعى أرنست ماكس هوبه وهذه الترجمة مأخوذة عن الألمانية عن الإنجليزية (سال) عن اللاتينية (ماراكيوس) عن العربية ولا شك أن مثل هذه الرحلة الطويلة للكلمة القرآنية بين أيدى الرهبان والمبشرين ستلتوى وتُمزّق حتى إذا وصلت إلى اللغة البلغارية تعتبرها الكنيسة فى ذلك الوقت نصرا سيوقف المسلمين فى بلغاريا عن قراءة النص القرآنى العربى ويستعملون بدلا عن المولود القمىء الجديد ، وتنوه الصحف البلغارية بذلك الإنجاز فتقول : « لقد فعلها ذلك الألمانى هوبه وسنفصل المسلمين عن قرآنهم بترجمتنا البلغارية الجديدة » .

إن أكثر ما يثير السخرية أن ترجمة جورج سال بعد أن انتشرت وذاعت قامت البعثات التبشيرية البروتستانتية بترجمتها إلى العربية فى مصر تحت اسم « مقالات فى الإسلام »(١) .

ولا أدرى كيف كانت هذه الترجمة بعد هذه الرحلة الطويلة من العربية إلى اللاتينية فالإنجليزية فالعربية ولعلى أجد هذه الترجمة يوما ما حتى يمكن أن نرى بأم أعيننا كيف عبثوا وحرّفوا فى كتاب الله الكريم وكأنه لم يكفهم ما حرّفوا من كتبهم فانهالوا على كتب غيرهم تحريفا وتبديلا . وهيهات هيهات أن ينالوا من الكتاب المكنون الذى حفظه المسلمون فى القلوب والصدور قبل أن يحفظ فى القراطيس والسطور والذى حفظه الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات .

ولم أسمع على الاطلاق أن مسلما قام بترجمة الإنجيل إلى العربية أو إلى أى لغة أخرى . فالعداء والكراهية والفهم الخاطىء المقصود أو النابع عن الجهل لم تكن من جانب المسلمين وإنما كانت من جانب النصارى .

فلماذا يا ترى يحاول الأوروبيون ترجمة القرآن الكريم مرة بعد أخرى . ودون توقف منذ ٨٤٥ عاما ؟ هل شعورا بتحدى القرآن الكريم لهم ؟

قد تكون أول ترجمة لاتينية كلونية كانت حبا للإستطلاع وفضولا أثاره الفزع من الفتح الإسلامى ولكن هذا الطوفان من التراجم الذى ما زال يترى حتى الآن مع ملاحظة أن الترجمة ليست بالعمل الهين المُسلى - ويزداد الأمر صعوبة واستحالة مع نص معجز كالقرآن الكريم .

فما سبب هذا الإصرار يا ترى ؟ أترك هذا التساؤل أمانة فى أعناق الدارسين ليكشفوا لنا ماذا يراد بالمسلمين وبقرآنهم .

النتيجة :

يمكن القول بأن الترجمات الأوروبية قد مرت بعدة مراحل متداخلة :

١ - من القرن الحادى عشر حتى الثامن عشر :

(أ) مرحلة الترجمة من العربية إلى اللاتينية (بذرة الإستشراق) .

(ب) مرحلة الترجمة من اللاتينية إلى اللغات الأوروبية (أكثر الترجمات سوءا) .

---

(١) S.M.Zwemmer, Translations of the Koran, The Moslem World, Vol. V(1916) 244-261 p.

- لقد ترجمت ترجمة جورج سال إلى العربية بواسطة البعثات البروتستانتية التبشيرية فى مصر عن :
The encyclopaedia of Islam. New Edition Vol. V Leiden (1981).

٢ - فى العصر الحديث :

(ج) مرحلة الترجمة من اللغة العربية مباشرة إلى اللغات الأوروبية بواسطة المستشرقين واضرابهم بعد أن اشتد ساعد الإستشراق وعرف العربية ودرس كتبها .

(د) مرحلة دخول المسلمين مؤخرا فى ميدان الترجمة إلى اللغات الأوروبية مع ليبراليه العصر والنظرة العلمية المجردة لموضوع الترجمة بصرف النظر عن مشاعر المترجم الدينية إن لم يكن مسلما .

وفى المرحلة الأخيرة فقط يمكن القول بأن هناك بعض الترجمات القليلة تعد على أصابع اليد الواحدة فى ترجمات اللغات الأوروبية مجتمعة والتى زادت على ٤٥٠ ترجمة كاملة غير مئات من الترجمات الجزئية ، التى يمكن القول بأنها على شيء من الموضوعية .

والتقسيم السابق يبين المراحل التى مرت بها الترجمات فى البلدان الأوروبية وذلك بدءا بالترجمة اللاتينية الأولى التى أشعلت الفتيل .

ولكن هناك تقسيم آخر يمثل وجهة النظر المسيحية اللاتينية .

فقد مرت الترجمات والكتابات المسيحية المختلفة عن القرآن الكريم بعدة مراحل :

(أ) من عام (١١٠٠ - ١٢٥٠)
وفيها ترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية كما سبق وفى هذه الفترة زاد الاهتمام بدراسة الإسلام بين الرهبان والدارسين .

(ب) من عام (١٢٥٠ - ١٤٠٠)
بدأ تراجع الحملات الصليبية واندحارها ، مما حدا بالكنيسة بأن تزيد من نغمة العداء للإسلام حفاظا على شعلة الصليبية متأججة ، وتعويضا عن التراجع ويمكن ملاحظة ذلك فى كتاباتهم فى خلال هذه المدة .

(ج) من عام (١٤٠٠ - ١٥٠٠)
خمدت جذور التحريض إلى حين ثم استعرت وتأججت مرة أخرى عام ١٤٥٣ وهو عام فتح القسطنطينية الذى نكأ الجروح وأيقظ الحقد الصليبى مرة أخرى بعد أن هدأ قليلا بعد انهزاماته فى حروبه الصليبية .

ومنذ الترجمة اللاتينية الكلونية الأولى والمسيحية تعيش فى وهم إكتشفوه بعد اطلاعهم على القرآن الكريم . فقد وجدوا أن المسلمين يؤمنون بعيسى وموسى ومريم وإبراهيم وآدم وحواء وأن هناك كثيرا من التشابه بين الإسلام والمسيحية وأن الإسلام ما هو إلا صورة مشوهة من المسيحية (كذا) .

ومن هذا المنطلق فإنه من الممكن بدراسة القرآن وتنقيته مما شابه من انحرافات عن المسيحية فإنه يمكن العودة بالمسلمين إلى حظيرة المسيحية .

وقد ظهرت هذه الفكرة بصورة

واضحة فى كتابات نيقولاس الكوزى وخاصة فى كتابه « تنقية القرآن Cribratio Alcorani » وقد اعتمد فى كتاباته هذه على الترجمة اللاتينية المحفوظة فى دير كلونى فى ذلك الوقت والمحفوظة حاليا فى مكتبة الأرسينال فى باريس وممهورة بتوقيع المترجم Bibliotheque de L'Arsenal- Paris .

كما اعتمد أيضا على كتابات أخرى كثيرة ظهرت عن القرآن الكريم أهمها كتابه « ريكولــدوس الفلــورنسى الدومينيكانى » Ricoldus of Monte Crucis بعنوان Propunaculum fidei والمطبوع فى فينسيا عام ١٦٠٩ .

وتحت تأثير هذا المفهوم وهو أن المسلم هو قاب قوسين أو أدنى من المسيحية تجرأ البابا بيوس الثانى فأرسل رسالة للسلطان محمد الثانى يدعوه إلى النصرانية ويصبح خليفة لأباطرة بيزنطة .

ولما لم يكلف السلطان خاطره بالرد على هذه الدعوة أخذ الخيال يداعب الداعى باقتراب نصر سهل فى الشرق بعد الكارثة التى حاقت بحروبهم الصليبية .

وفى النهاية فإنه يمكن القول بأن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية لغة الكنيسة وبأيدى رجالها لم تكن عملا أكاديميا أثاره حب الاستطلاع فقط بل كانت عن سابق تخطيط وترصد إحتاج إلى تنفيذه إرسال البعثات لسنين عديدة لدراسة العربية ثم اعتكاف طويل للترجمة بتوجيهات أعلى سلطة دينية مسيحية وبمساعدة وإشراف رئيس رهبان أكبر رهبانية فى ذلك الوقت وأقصد بها رهبانية كلونى والأخطر من هذا هو البحث عما ظنوه اختلافا أو أخطاء أو ما شابه من الظنون فكان الرد على القرآن والطعن فيه أهم عندهم من الترجمة حتى أن ماراكيوس فى طعنه للقرآن كان جادا فى استكمال مطاعنه وردوده التى فاقت ترجمة سابقيه وردودهم وأشار إليها جورج سال مشمئزا مما حوت مفضلا عليها موضوعية مهذبة ماكرة قد تكون أفضل فى التعامل مع المسلمين .

قال هذا الماكر فى مقدمة ترجمته :

إنى لم أسمح لنفسى عند التحدث عن محمد أو قرآنه أن أستعمل السباب المشين والتعبيرات اللاأخلاقية والتى ظنهــا الكثيرون ممن كتبوا ضده أنها أقوى أسلوب للمجادلة .

ولكن العكس هو الصحيح ، فقد وجدت أنه من الملائم معالجة الموضوع بالحكمة والأدب بل والموافقة على الأساسيات التى أعتقد أنها تستحق الموافقة ، كمدى الجريمة الأبدية التى ارتكبها بفرضه دينا مزيفا على البشرية .... جورج سال (١٨٧٤) .

خاتمة :

لقد ترجم القوم كتاب الله العزيز وحرفوا وهاجموا ونقدوا ورفضوا وأثاروا الشبهات وما زالوا. كل ذلك ليس فى لغة واحدة بل فى عشرين لغة ونيف .

فما هو موقفنا من كل ذلك ، وماذا

يجب علينا أن نفعله إزاء هذا الهجوم ؟ هل نترك الحبل على غاربه لكل من أمسك قلماً ليعتدى على كتاب رب العالمين ونحن بما يجرى إما غافلون أو جاهلون ؟

الأمر يحتاج إلى موقف من المسلمين عامة ومن المنظمات الإسلامية العالمية خاصة . وفى تصورى أن الأمر يحتاج إلى مؤسسة إسلامية عالمية للقرآن الكريم .

وأناشد هنا مؤتمر العالم الإسلامى والذى نبعت منه منظمات مختلفة فى شتى الميادين . فهناك أجهزة تابعة ومنبثقة عن المؤتمر مثل مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، واللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضارى الإسلامى ، والمؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية ، والوكالة الإسلامية للأنباء ، ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية ، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ومجمع الفقه الإسلامى ، والاتحاد العالمى للمدارس العربية الإسلامية الدولية وحتى الرياضة فإن لها الإتحاد الرياضى للتضامن الإسلامى ويكاد الإنسان يجد جهازا أو منظمة دولية فى كل الميادين الثقافية والإعلامية والإسلامية والفقهية وفى السيرة والسنة ما عدا منظمة دولية تقوم على خدمة كتاب الله العزيز .

إنى أدعو الأمة العربية إلى تبنى فكرة « مجمع تفاسير القرآن الكريم باللغات المختلفة » .

إننا فى حاجة إلى مؤسسة القرآن العالمية المنبثقة عن مؤتمر العالم الإسلامى يدعمها العالم الإسلامى ماديا ويضفى عليها الصفة الأدبية والمعنوية مما يمكنها من التحدث باسم القرآن الكريم نيابة عن المسلمين أجمعين ، فهى ستمثل العالم الإسلامى فى خدمة القرآن الكريم ونشره وتوزيعه وطبعه وتفسيره والدفاع عنه وكشف التحريف ومتابعة المعتدى وترجمة معانيه للشعوب الإسلامية حسب حاجاتها وأولوياتها ورصد ما يصدر من ترجمات فى العالم ومحاربة الفاسد ونشر الصالح .

لقد أقامت الترجمات اللاتينية وتوابعها سدا بين الأوروبيين وبين المعانى الصافية للقرآن الكريم وأورثتهم عداوة وكرها شديدا للإسلام والمسلمين .

ولعله قد آن الأوان لأن نأخذ بزمام المبادرة ونبلّغ ونبيّن للعالم ما عندنا من هداية ونور . وقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم بتبليغ ما أنزله عليه إلى الناس كافة كما أمره ببيان ما خفى عليهم من الأحكام . قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول **بلّغ** ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وقال تعالى : ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا **لتبيّن** لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [النحل : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا **كافة** للناس بشيرا ونذيرا ﴾ [سبأ : ٢٨] .

هدى الله أمة الإسلام إلى الخير ووفقها

إلى نشر كتابه الكريم وجعلها أمة المبلغين الهادين إلى النور الذى بين أيديهم إنه على كل شيء قدير .

* * *

المراجع العربيـــة

١ – المجلة المغربيـــة للتوثيـــق والمعلومات – العدد الثالث ، تونس ، مارس ١٩٨٥ .

٢ – لويس يونغ ، العرب وأوروبا ، ترجمة ميشيل أزرق ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٩ .

٣ – جوزيف رينو – الفتوحات الإسلامية فى فرنسا وإيطاليا وسويسرا فى القرون الثامن والتاسع والعاشر الميلادى – تعريب وتعليق الحواشي وتقديم د . إسماعيل العربى – دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر – ١٩٨٤ .

٤ – بلاشير ، القـرآن : نزولـه وتدوينه وترجمته وتأثيره ، نقله إلى العربية : رضا سعادة – دار الكتاب اللبنانى – بيروت .

* * *

REFERENCES:

1 - Beeston, A.F.L., Johnstone, T.M., Sergent, R.B.& Smith, G.R., The Cambridge history of Arabic literature-Arabic literature to the end of the Umayyed period., Cambridge University press, pps. 502-520, first ed., Cambridge, 1983.

2 - Brill, E.J., Encyclopaedia of Islam, V pps, 429-432, Leiden 1981.

3 - Brockway, D., The second edition of volum I of Marracci Alcorani, Textus universus, M,W. Vol. 64 (1974) 141-144p.

4 - Sale, George The Koran, Philadelphia, J.B. Lippincoff& Co. 1874.

5 - Moslem World Vol. 55 (1965). 195-202 p.

6 - Kritzek, J. Peter the venerable and Islam,inceton, 1944.

7 - Ross, D., Ludvico Marraci, in SOS, ii, 117-123 p., (1921-1923).

8 - Kritzeck, J. Robert of Ketton's translation of the Qur'an, Islamic Quarterly, Vol. II, 309-312p. (1955).

9 - Daniel, N., Islam and the west, the making of an image, Edinburgh, 1960.

10 - Shellabear, W.G., Is Sale's Koran reliable? M.W., XXI (1931), 126-142.

11 - The Koran in Slavonic, The New York Public library, N.W. 1937.

12 - Work Bibliography of translations of the meanin of the Holy Qur'an-printed translations- (1515- 1980), Research Centre for Islamic History Art and Culture, Istanbul 1986.

13 - The Oxford Dictionary of Popes, by J.N.D.Kelly, Oxford University press, New York, 1986.

14 - W.Montgomery Watt, The influence of Islam on Medievel Europe, Edinburg University press, 1972.

15 - Haroon Khan Sherawi, Muslim Colonies in France, Northern Italy and Switzerland, Lahore 1955, Orientalia.

16 - Du Ryer, A., L'Alcoran de Mahomet, traduit de L'Arabe, Pub.; Chez Pierre Mortier, Amsterdam, 1734.

17 - Muhammed Hamiduallah, Le Saint Coran, Pub.; Hilal yayinlari, Ankara 8 eme ed. Beyrouth 1973.

18 - The New Encyclopeadia Britanica, Roman Catholiciasm& History of Roman Catholicism, 900-1020p.

